١٤٧٤٤
٩٨/٥/٤
التاريخ ١٩/٥/١٩٩٧

رواية التجسد

تأليف

صاحب مجلة صهيون بمصر

طبعت منها ٥٠٠٠ آلاف نسخة على نفقة

مرقس جرجس

حقوق الطبع محفوظة

للملتزم طبعها ونشرها مرقس جرجس

صاحب المكتبة الجديدة ومطبعتها بشارع كلوت بك نمرة ٥٥ بمصر

مطبعة القاهرة — باول شارع بين الحارات نمرة ٧٤ بمصر

رواية التجسد

هي حادثة شهيرة جرت في العالم من نحو ١٩ قرناً

لو كان أومـيروس شاعر اليونان الشهير صاحب الالياذة التي ترجمت الى شتى اللغات واللغة العربية متأخراً بقلم المرحوم العلامة الفيلسوف سليمان البستاني نظماً التي أودعها الشاعر اليوناني تفاصيل غارة عناصر لاغريقيين على تروادة بذنب انتهاك باريس بن بريامـوس ملكها حرمة منـلاس ملك لقدمونية الذي أحله ضيفاً عزيزاً في سرايه فخانه عند انتهازه فرصة غيابه وخطف امرأته الجميلة هيلانة وسلب أمواله وهرب بها الى تروادة ولما شعر منلاس بهذه الخيانة دعا مختلف عناصر اليونان للأخذ بثأره فسارت جيوشهم بقيادة أغا ممنون وعولس وسواهما وزحفت على تروادة وأحدقت بها وحاصرتها وحاربتها مدة عشر سنين ودمرتها

نعم لو كان زمان مدون تاريخ هذه الحروب التي أريقت فيها دماء الابطال والقواد والعساكر وزهقت فيها تلك الارواح الكثيرة متأخراً عن زمن مجيء المسيح والحوادث التي تتابعته وكان لها مساس به لاختار إلياذته لها وفضل تدوينها فيها عن كل حوادث العالم لا عن حوادث تروادة فقط

ولكن لنا الغنى عنه بمتى ومرقس ولوقا ويوحنا الذين عاصروا مجيء المسيح وشاهدوا بالعيان لا بالسمع مارافق مجيئه من الحوادث الرائعة التى كان يتوقف على نهايتها وختامها لا تحرير هيلانة الاسيرة وتدمير حصون ترودة بل تدمير مملكة ابليس وتحرير العالم أجمع من أسر الشيطان ومخادع الظلام وخروجه الى حرية أبناء الله ونورهم المجيد

فاليكم أزف أيها القراء شرح حادثة مجيء المسيح من ميلاده الى صلبوته الى قيامته الى صعوده سبكتها في قالب روائى يلذكم جداً جداً ويقرب لكم الفهم عند درس مفصلاته فى أسفار الانجيليين المذكورين ولا نبغي منكم عوض هذه الخدمة سوى الدعاء لنا بالآخرة الصالحة ما

صاحب مجلة صهيون

الفصل الاول

« ١ » خلقة آدم — « ٢ » عصيانه — « ٣ » اضطراب الملائكة — « ٤ » محاولة آدم اخفاء المعصية — « ٥ » الوعد بالفداء

« ١ » قال الله وهو يخاطب الابن والروح القدس (نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا « تك ١ : ١٦ »)

قال الابن يلزم أن يكون هذا الانسان مزداناً بالعقل والنطق والبيان

قال الروح القدس من صفات الكمال البر والقدس والطهر في كل الاحوال فيلزم أن يكون باراً وقديساً طاهراً

قال الابن وملكا ونبياً وكاهناً أيضاً

قال الاب ومن شأن الملك أن يكون ذا مملكة لكي يتسلط هو ونسله (على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض)

قال الابن ومن شأن الملك أن يكون ذا قصر وجنة

قال الروح القدس ولتكن هذه الجنة حاوية جميع أنواع الفواكه والاشجار والاثمار اللذيذة وفي وسطها شجرة الحيوة

قال الآب ليكن كذلك « وجبل آدم تراباً من الارض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار نفساً حية وغرس جنة في عدن شرقاً ووضع آدم الذى جبله ليعملها ويحفظها»

قال الروح القدس ليس جيداً أن يكون آدم وحده

قال الابن لنخلق له مؤنساً ومعيناً

قال الآب ليكن كذلك «فأوقع سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الضلع التى أخذها من آدم امرأة »

قال الروح القدس ليدخل آدم في مدرسة الطاعة بقدر الاستطاعة لكى يحتفظ بمزاياه وجميل عطاياه ويستحق أن يرقى سلم الملكوت بغير الموت

قال الابن حسبه أن لايذوق هذا الثمر طول العمر دون أثمار باقي الاشجار أى أن لايأكل من شجرة معرفة الخير والشر مدى الدهر

قال الآب هذه الامثولة سهلة اذا حفظها يسهل عليه حفظ غيرها ولكن اذا تعدى الامر فماذا تحكم عليه وتبعث من الاذى اليه؟

قال الروح القدس بتوبيخ الضمير الدائم

قال الابن والطرد من الفردوس والتعرية من النعمة

قال الآب بل موتاً يموت

«٢» قال الراوى بالالهام ـ موسى عليه السلام قد سمعت هذه المحاورة وزكنت هذه المسامرة فازددت شوقاً وهياماً الى استطلاع

غرائبها و الوقوف على أخبارها وعجائبها وما يتخللها من الاخذ والرد والكر والفر لعلي ألج بحرها وأسبر غورها فقدت الشمع وأملت السمع وسرت أقتفي الآثار وأكشف الاسرار في الاسحار حتى حانت مني التفاتة الى فتاة السبح لخالقها والشكر لمبدعها وعاتقها ثم لمحت بقربها حية رقطاء محتالة شنعاء ومما أخذني العجب والخوف وارعب هو أني سمعتها تنطق بأفصح لسان مع كونها حيواناً ابن حيوان

ومما قالته لتلك الفتاة الجاهلة والغادة الغافلة أحقاً نهاكما الله عن أكل الثمر من كل الشجر ياذات كل محاسن وغرر؟

قالت المرأة لا بل قد صرح لنا أن نأكل من كل ثمر الشجر الا ماينجم عنه الضرر

قالت الحية لو ذقتما هذا الثمر لتجاوزتما منزلة البشر وقمتما الشمس والقمر وعرفتما الخير والشر

وهكذا من دهاء الشيطان والكذب والبهتان حتى اغترت الفتاة برهرهة السراب وظنته من الشراب فاشتهت ذلك الثمر وهو يختال بثوب الاوراق كنور في عظم الضياء والاشراق وتناولته هي وآدم فنالها الموت وطردهما من ذلك الملكوت

« ٣ » قال الراوي حصلت عقيب هذا الحادث المريع والواقع الشنيع ضجة فوق السماء بين جنود السماء فارتفعت بالروح اليها لاقف على ماحدث فيها فسمعت الملاك مخاييل يقول لغبريال :

لقد اكفهر وجه هذا الفضاء واضطربت السماء واستحوذ الظلام وزال من الارض كل سلام

قال غبريال كفكف ياأخي الدمع وارعنى كل السمع فهوذا أرى أنا أيضاً الارواح المقربين قد سكتوا عن التسبيح والتقديس واشتملهم التقطيب والتعبيس فلا يقدس الحيوانات الجالس على العرش ولا يسجد له الشيوخ حسب عادتهم « رؤ ٤:٦ »

قال مخاييل هذا اليوم يذكرني بالذى سقط فيه قاهر الامم الى العدم وهو زهرة بنت الصبح الذى طمع بقبيح الربح وحاول أن يصير مثل العلي فلا بد أن يكون لما نزل الى الارض عثا فيها طولا لعرض وشوش نظامها وقوض أركانها كما أربك السماء وجذب ذنبه ثلث نجومها

قال غبريال احتفظ بنظام جند الرب لاهبط الى الارض كبرق خلب وآتيك بصحة الخبر على الاثر

قال مخاييل افعل كذلك وأنا أسهر أثناء غيابك على حركات كل ملك وأطوف دائرة الفلك

وبعد أن غاب مدة حضر ودعا مخاييل قائلا :

أخي لتلبس لباس الحداد وتتشح بالسواد على آدم الذى دون خلاصه خرط القتاد

قال مخاييل إذاً لقد ابتلعه حوت البحر أو افترسه وحش البر أو هوت فوقه الجبال وأدركته الاهوال

قال غبريال كلا بل انى وجدته صحيح الجسم سالم العظم ولكن قد مسه الجنون وفقد نور العيون وأمسى يخبط في ظلام دامس ويعثر في الظهر كما في عتمة الشهر الخامس وهو عريان حزين يحاول أن يستتر باوراق شجر التين ولما قصدت الطيران سمعت قهقهة من تلك الاغصان فتأملت فيها واذا بالحية القديمة تجر ثوب الخيلاء وتضحك كشملاء

قال مخاييل لقد صدق الظن مني وزال الريب عني وهو أن الرئيس الذي هوى مع التيه والهوى لما دحرناه يوم القتال ونكبات النضال هو وجنده الذين شاطروه الضلال » رؤ ١٢: ٧ و ٨ » زاد به الهيام الى أخذ الثأر والانتقام فالتقى بآدم وأفرغ في جسمه سمه وأكثر همه وغمه إذ جعل أن يستاء حاله ويفقد كماله فامسك ياأخي الزمام لاقف على الواقع بالتمام وآتيك بصحة القول والكلام

« ٤ » قال الراوي تركت الملاك يتحلق في الافلاك واقتربت من الجنة لاسمع نهاية حوادث مخالفة السنة واذا بشبه ابن الانسان انحدر من حضن العتيق الزمان الى الرياض والجنان فكفت الطيور عن التغريد ولجأت الى أوكارها والوحوش هربت الى مقارها والبهائم اجتمعت زرافات ووقفت باهتة جماعات جماعات

أما آدم فكان يحيق به الخجل ويمشي القرل على عجل فناداه الرب الاله قائلا

أين أنت اليوم الحاضر من أمسك الغابر وحالك الموجود من أمرك المعهود كنت أسمعك بالامس ترفع نغماتك الى قدس القدس وقد أشغلك الآن الهوس وألزمك الفتور والنعس فهل اعتراك الكبر والعجب وتجاوزت سنة الرب حتى اشتملك الرعب ولماذا تحاول الفرار من أمام أبي الانوار الى القفار مع الاشرار

قال آدم وهو قادم قد سمعت صوت خطواتك ماشياً فاختبأت بين الشجر خاشياً فاني عريان ومن الخزى ملآن

قال الله لقد كنت لابساً حلة من الديباج و بيدك عصا السيادة من العاج تهش بها على أسراب الطيور وقطعان النعاج ألعلك أكلت ذاك الثمر حتى زال عنك البصر وخالفت الوصية حتى حاقت بك هذه البلية ؟

قال يارب ماعلي من عتب فلا أحتمل هذا الملام فلا تكثر الكلام فان المرأة التي خلقتها لى معينة عاقلة رصينة هى التي قد سببت لى الاتعاب وأوقعتني فى هذا المصاب بعذوبة اللسان ورقة الخطاب

قال الله كيف لا أعتب عليك وقد حذرتك و وعدتك وتواعدتك فحق عليك العقاب فانك من التراب وتعود الى التراب وليكن أكلك بالتعب والعرق والنصب وتلك المرأة تلد بالاوجاع فى كل الاجيال والاصقاع ولتعش بالحصرة والندم عند خطوة كل قدم وهذه الحية فلتكن من دون سائر الحيوان ملعونة ومن كل انسان

مكروهة مهانة

(٥) قال الراوى قال الله ذلك وصعد الى السماء في مركبة من الهواء فصعدت وراءه لاقف على آخر هذه الحكاية وأبلغ منها القصد والغاية فسمعت الآب يقول وينطق في الموضوع والمحمول : هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والصالح والضار مسكين لقد خاب منه الامل واعتراه الويل والخجل وحاق به الدمار والانقلاب واستحق كل نوع من العذاب في كل الاجيال والاحقاب

قال الابن رحمتاه يا ابتاه انه يليق بك أن تغفر للانسان هذا السهو والنسيان لانه خلق للنعيم لا للجحيم وللسيادة لا للابادة

قال الروح القدس بل انه يستحق العدل وقد كان الملاك مخلوقاً للسبع السماك فوقع في شرك الهلاك

قال الابن ان الفرق بين هذا وذاك جسيم والبعد عظيم فالاول نوراني ذو بصر وحكمة ونظر وفطنة وقوة وفكر والثاني خلق من تراب الارض ضعيفاً جسماً كثيفاً. الشيطان كان مسكنه السماء وآدم مقره التراب والماء

قال الآب لاحجة للانسان أمام العدل لا بالقول ولا بالفعل فاننا خلقناه حكيماً وسيداً عظيماً وسلطناه على الطير والحيوان وقد علم بالالهام ماحل بالشيطان من الهوان .

قال الابن قد وجدت أسباب لطغيان آدم وهي الثمار واحتيال الغدار وأما الشيطان فلم يوجد لسقوطه سبب سوى العجب

قال الروح القدس ليتمجد العدل بالقصاص كما تتمجد الرحمة بالغفران والخلاص فيلزم ان يعاقب الانسان بالطرد من الرياض والجنان الى أرض الشقاء والاحزان

قال الابن قد تمجد العدل بقصاص الملائك فلتتمجد رحمتنا بانقاذ هذا الهالك من المهالك وصعاب المسالك

قال الآب ان عدلنا قضى بان نخلق آدم ذا حرية مطلقة وسيادة واختيار وارادة وقد أخطأ الينا وأهان كمالنا وجلالنا فيقتضي أن يكون جزاؤه بغير حد الى الابد مالم يف وفاء تعادل كرامته كرامة شريعتنا المهانة

قال الروح القدس مسكين آدم انى له في هذه الحال التي أمسى الفساد مستولياً على طبيعته يفعل ما لا يريد ويتجنب مايستصوب (رو ٧ : ١٤) ان يقوم بهذا الوفاء الذى لا يقوم به الروحيون فكيف يقوم به الجسديون لان هؤلاء وأولئك متناهون

قال الابن بماذا يتم هذا الوفاء؟

قال الآب بموت قدوس بار عن آدم المائت وسفك دم زكى عن آدم المقتول

قال الروح القدس سيأتي من نسل آدم من هم أبرار مثل نوح وابراهيم ويوسف وموسى ويشوع وصمويل وايليا فالاول يخلص سبعة أنفار من الطوفان والثاني والثالث يخلص قومه من الجوع والرابع يخلص الشعب من المصريين وبعض الامم والخامس والسادس يخلص

اسرائيل الشعب من شر الفلسطينيين والسابع ينزل المطر ويزيل القحط ولا يمكن لبرارة هؤلاء أن تفعل أكثر من ذلك فتنقذ من موت العالم الحاضر فقط لا من المزمع لانهم ورثوا عن آدم الفساد والموت وبرارتهم إنما هي من الخطايا الفعلية

قال الابن ان رحمتنا التي لاقرار لها تلزمني أن احمل على عاتقي هذه المسئولية (يو ١ : ٢٩) فارسلني يا أبت الى الارض لاصير انساناً وأقبل بجسدي التعب والتعيير والبصاق واللطم والصلب والاوجاع وسفك الدم والموت والقبر وأفي بما أني إله العدل الالهي فلاصير انساناً وأقبل الموت وأحيي الميت الذي حاول أن يصير إلهاً

قال الآب هل تحتمل أن تولد من فتاة فقيرة في مغارة حقيرة ويحتقرك الشعب ولا يقبلك ويدعوك سامرياً وبك شيطان ويرفعك على الصليب؟

قال الابن أجل احتمل كل ذلك (في ٢ : ٦) وأزيل عن آدم الموت بموتي

قال الآب انك مزمع أن تهرب الى مصر خوفاً من سطوة هيرودس وتسفك بسببك دماء أطفال لاذنب لهم

قال الابن كل ذلك أقبله عن طيبة نفس محبة في نجاة آدم ورحمة به لاني لاأشاء موت الخاطيء وأولئك الاطفال فسا كافئهم في ملكوتي وسأنيل والداتهم صبراً وعزاء

قال الروح القدس بل ان الفتاة التى ستتخذها أماً لك ستقاسى من أجلك مرارة الحزن ورسلك سيكونون مهانين من كل أحد من أجل إسمك

قال الابن لكل الذين سيتبعوننى في التجديد سأجلسهم على كراسى في ملكوتي

قال الاب اذاً انطلق وعد آدم بالنجاة وقل للحية (ان نسل المرأة يسحق رأسك تك ٣ : ١٥)

قال الروح القدس وانا ساكون فى أفواه بعض أولاده البارين مبشراً ونذيراً بالوفاء والخلاص

الفصل الثانى

(١) مؤامرة سلطان الظلمة ووزرائه على البشر ـ (٢) انتصارهم على مدينة نفس الانسان ـ (٣) ارتباك الارواح الشريرة ـ (٤) فرار قائدى الكبريا والتجديف من على جبال يهوذا ـ (٥) العائلة المقدسة فى بيت لحم ـ (٦) ولادة الملك عمانويل

« ١ » قال الراوى موسى عليه السلام لما سمعت الحية القديمة تهديد الرب لها بأن نسل المرأة يسحق رأسها لم تعبأ به بل سخرت

واستهزأت وضحكت حتى استلقت على قفاها لعلمها أنها أمست بطاعة آدم لها سلطانه والآمرة والناهية ولم يدر بخلدها أن النسل المزمع أن يقتلها هو الابن الازلى المزمع عند امتلاء الزمان أن يولد من إمرأة

و بعد أن طرد آدم من الفردوس ووضع الحرس على بابه ليمنعوه من دخوله انسابت الحية الى خارج وهى سكرى بخمرة الفرح واذا برئيس الظلمة هش و بش فى وجهها فجلس هو ووزراؤه على كراسى وعقدهم مجلس شورى و بدأ يخاطبهم قائلا

لقد صفا لنا الجو بعد أن كان متعكراً فلأمشين في العالم ظاهراً بعد أن كنت أمشى فيه متنكراً فأطلب اليكم ياأنصارى وأشرارى أن تشمروا ساعد الجد والهمة لنحسن تدبير ممالكنا الواسعة ولنحكم فيها بالعسف ولا ندع أحداً يبيت سواد الليل الا بالحزن والاسف ولأقسمن من جودى عليكم الاعمال وألقين على كاهلكم الاحمال والاثقال فاسسوا الولايات على الظلم والحيف والغشم وأكثروا فيها من القبور والاجداث واقتلوا الابكار والشيوخ والاحداث

قال وزير الحقد والغيرة والحسد : أسألك يامولاى وغاية منائى أن تجعل مملكة الحسد من شأنى ولطف نار أحزانى لكي أضرم نارها وأثير غبارها وأغرس بذارها فى قلب الاخ ضد أخيه والمولود ضد أمه وأبيه وستسمع أنى أشعل غيظ الفتى قايين على هابيل المسكين وأحمله على قتله وأقد نيران الغيرة العمياء في قلوب أولاد

يعقوب الجهلاء ضد الاخ يوسف وأجعله أن يذوق طعم الغربة وأسقي والده كؤوس الفراق الصعبة وألهب قلب فرعون بالجنون والجنون وسوء السيرة وأحمله على إهلاك العشيرة وأجعله أن يحاول قتل الربيب وسبي ابن ابنته الحبيب وكم لي من التصنعات في قلوب النساء المكرات وكم عندي من أسباب الشراهة في قدرة أن أثير خاطر الابن المنكود ضد والده المعبود

قال سلطان الظلمة لقد سلطتك على هذه المملكة الواسعة فما عليك من حرج فلا تبق فيها من سعي ولا من درج لانك قادر أن تقول وتفعل القول

قال وزير الفحشاء وأنا سلطاني على مملكة العشق والغرام والشبق لالهب قلوب الشيوخ قبل الشبان بالشهوة التي هي من شأن الحيوان وسوف أقلب سنة الله في الزواج وهي أن يتزوج كل رجل امرأة واحدة وأحمل الناس على تعدد الزوجات والزيجات الى آخر رمق من الحيوة وانى مزمع أن أثير شهوة الذكورة ضد بعضهم حتى يمسي الحيوان أكثر عفة من الانسان وأنا الذي سيجعل بنات الناس مع أبناء الله وأدع الخالق أن يجلب عليهم الغرق وسوف أدمر غامورا وسادوم بهذا الذنب المشوم وسأجعل راوبيم يدنس مضجع والده الكريم وأغرى بنات مواب أن يدنسن ويفضحن عسكر اسرائيل المهاب وأبيد سبط بنيامين وأهلك بسببه من باقي الاسباط ألوفاً وميين

وشمشون الجبار ساذله بكيد الغي القهار . وداود الوديع ساذيب فؤاده بسعير العشق الفظيع وأجعله أن يركب مطية الجهل ويرتكب خطيئة الزنا والقتل وأمنون الولد المجنون سافتنه بجمال أخته ثامار وأعده شر الفجار وسليمان الحكيم ساكثر له من الزوجات غير الرضيات لكي يغوين قلبه ويفسدن لبه ولا أطيل عليك الكلام بما آتيه من الامور الجسام

قال سلطان الظلمة لقد منحتك هذه الرئاسة لما أعهده فيك من الدهاء والسياسة والتدبير والتغرير والتزوير ومتى أحسنت القيام بهذه المهام فسأرفع مقامك الى الغمام

قال وزير الكبرياء ان الصلف يأتي بالتلف ويجعل المسكين الصعلوك أن يرى نفسه ملكا من الملوك فساعمي عيون الناس بالوسواس وأطعن بسهام الكبرياء قلوب الجهلاء والاغبياء وأجعل حب الذات من شر الآفات وغداً أسمعك أني صيرت المستبد بالرأي يسقط بسقوط مدينة عاي

فانا الذي سيبتلي شاول بن قيس بالتقطيب والتعبيس وفرعون الغدار ساريه أنه أرفع من النجم الجبار وأسمى من الاقمار وسادع بختنصر المهذار يرعى مع الوحوش كخنزير أو حمار وساهلك من عساكر سنحاريب بهداء الداء الرهيب وأدع هيرودس الخطيب ينال أرداً نصيب ونيرون ذلك الحزون مصيره النار بهذا الشرار ودقلا العاتي أوتيه من مزاياي وصفاتي ويوليانوس الكافر سيموت

كعاهر من شر ظاهر أما رؤساء الدين فسيبلون منى بسوء الظن وفساد اليقين كيلا يروا الغث من السمين

قال وزير محبة المال : ياذا الجلال سلطنى على ممالك الطمع وايالات الجمع والجشع والخطف والعسف كى أكثر من اللصوص والسراق الى يوم التلاق وأدعهم يشبعون الطير والحيوان من لحوم الانسان ويجمعون ويكسبون ولا يربحون ويتعبون ولا يرتاحون الى أن يؤدى بهم الطمع الى قتل العريس والعروس والزج في السجون والحبوس

وبهذه السيادة سأكثر المظالم في العالم من الجاهل الى العالم فأدخل الاسواق بين الرفاق وأمسك هذا البتار وأضرب خيار التجار لكي يغشوا الميزان والمكيال والمعيار وأعودهم على الكذب والقسم والظلم والغشم وأنزع الرحمة من قلوب ذوى النعمة وأجعل القضاة يقضون برشوة أو بعشوة وبالاختصار أنا مزمع أن أفعل في العالم أعمالا وأدعه خرباً وأطلالا وأقيم المال إلهاً يعبد دون الاله الاوحد

قال سلطان الظلمة: اقبض على هذا الصولجان كل أوان واضرب به قلب عخان ليذوق طعم الذل والهوان . وعليك بهوذا الدافع جرعه السم الناقع وحانيا وامرأته دعهما يخدعان ويطمعان ويطغيان ويتزعان

قال وزير التجديف : كل هذه المزايا عقيمة وسقيمة في جانب ما آتيه من الفعال ما لا ينهض به هؤلاء الابطال وهي أني أنصب للناس كل شرك وأعلمهم الكفر والشرك ليتخذوا دون الله الاوثان ويعبدوا الطير والدبيب والحيوان

قال سلطان الظلمة لقد أحسنت الرأى والقول فأجرهما بالعرض والطول

« ٢ » قال الراوى موسى عليه السلام: أما أنا فلما سمعت هذه المؤامرات والمشورات لم تعد في قوة للقيام على رجلي واعتراني الذهول مدة نصف ساعة لا أعي فيها شيئاً ولا أعرف ان كنت ميتاً أو حياً وبينا أنا كذلك واذا بواحد لم أر له ذاتاً يهمس في أذني قائلا : أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به (تث ١٨:١٨) فارتحت الى هذا الوعد وتجدد بي الأمل ثم سرت في طريق جميع الناس تاركا الامر والتدبير لهذا النبي القدير

أما ذاك النبي فهو يشوع المرموز به الى يسوع وقد أتحفنا بما وقف عليه هو ومن أتى بعده من حوادث الحرب التي أسعر نارها الشيطان في العالم

قال الراوى يشوع ومن أتى بعده : سرت في ليلة من ليالى الشتاء في ظلمة شنعاء حاملا رسالة من لدن ربي الى شعبي فلما أعياني السفر ولم يكن قمر عثرت بمكان ملآن من الاجسام المعظمة

والاصنام المجسمة فبهت إذ لم أعهد فى هذا الطريق مثل هذه الاحوال والاشكال ولم يكن قليل حتى خرج من هاتيك الصور المنحوتة أشخاص بهيئات مخوفة ورؤيات مرعبة تخيفة البعض بأزياء نساء والآخر بأزياء رجال وأخذوا يرقصون ويغنون أغانى تجديف على الله ومسيحه وبعد قليل دقت الطبول والاجراس ونفخ في الاصوار ونادى المنادى أن حملات الشيطان رجعت برايات الفخار وعلامات الانتصار على أولاد آدم الفجار فحينئذ تذكرت ماأخبرنى عنه معلمي عما سمعه من جعجعة هؤلاء الارواح وزاد هيامى الى معرفة مافعلوه فى عالمنا الشقى ولم تكن مسافة حتى وفدت تلك الحملات فخرج الملك من صنم جسيم وبدأ يسألهم قائلا

مرحبا بقوادى الجبابرة وأعوانى الاكاسرة لقد تحملتم المشاق ودخلتم ميدان السباق وجلتم في الارض طولا لعرض «اى ١ : ٦ و ٢ : ٢» واقتحمتم الاخطار الليل والنهار فاتحفونى بالغنائم

قال القواد : حاصرنا مدينة نفس الانسان وهذه الغنائم التى أحضرناها معنا جماجم الفجار ولاعبي القمار وكاشفى الاسرار وسافكى الدم المختار وجماجم المرابين والظالمين وعبدة الاصنام والكفرة برب الانام

قال الملك : قصوا علي وقائع الحروب لأرى ان كنتم

دحرتم الابطال في ميدان القتال وهل أسر أحدكم
خدمكم

قال القائد (مامونا): لقد تركنا قائد التجديف يحارب مخائيل
على جسد موسى «ية : ٩» ليدع اليهود يعبدون غير الله فان قائد
هذا دانت له رقاب العباد في كل الامصار والبلاد ماعدا رقاب
هذه الامة فكم مرة حاول أن ينسيها ذكر الله وهي تعود الى الهذيا
به ومما يضحكنا ولا يربكنا هو أن قائد عسكر الفحشاء بعد أن
أنحن ملك اسرائيل وأسقطه من مجده الاثيل ألفيناه يضرب
على الرباب في ذكر الاحباب وينشد أناشيد الرحمة لينج
من النقمة ويؤمل أن يدرك بالمناجاة النجاة ومن هذا الحال عد
ولا تبال

قال قائد الجسد : وقد تأخر عن القدوم قائد عسكر الكبرياء
الذي قد تركناه يصوب سهامه نحو كهنة اليهود فلا بد أن النصر
حليفه يعود

« ٣ ». قال الراوي :سمعت بأذني هذه القصص التي قصها
قواد ملك الظلمة فحزنت روحي واضطرب فؤادي وأعطيت
الويل للانسان الشقي ولعنت اليوم الذي بشر فيه بولادته وقلت
كيف يرضى الخالق أن يترك لهؤلاء الطغاة العالم يمرحون فيه
ويفرحون بهلاكه ولا يهتم بانقاذه فخاشا لاله الرحمة أن يحتمل
ذلك فلا بد أن يأتي يوم تخفق فيه رايات النصر لبني البشر ولكن

كيف يكون ذلك وبأية وسيلة أو حيلة ؟ فهل يخرج من نسل آدم
من يفك قمعه ويكفكف دمعه ويلم جمعه ويجبر كسره ويفك
أسره ويسهل عسره ؟

وأنى للجبلة المحطمة أن تجبر المكسور ؟ وللعبد أن يفتك العبد؟
وللمشجوب أن يفدى المشجوب ؟ فاعترتنى حيرة وأى حيرة وإذ
لم أعرف الطريق الى الخلاص من ذلك القصاص صرخت بصوت
مسموع وبكاء ودموع (لخلاصك انتظرت يارب تك ٤٩ : ١٨)
فجاوبتنى تلك الارواح بسخرية ومزاح من الليل الى الصباح ثم
أشرق وميض ونادى مناد فى ذلك الواد قائلا

أنا أعلم أن ولي حي وبعد ذلك على الارض يرى (اى١٩:٨٥)
فانتعشت منى الروح وقلت هذا الصوت يشفى الكلوم ويبرىء
الجروح وقد زاد يقينى للنجاة من أولئك الطغاة ورجوت أن
أجد على مدى الايام ومرور السنين والاعوام من يفك لى تلك
المعميات ويحل لى رموز المواعيد الساميات

ثم وجهت الالتفات الى حركات وسكنات الاشباح الماكرات
لارى ماذا يكون من أمرها وزيادة شرها

وبينا أنا أحدق النظر وأجلى البصر في ضوء القمر وأسمع
قصص القواد لما وافوا من تضليل العباد وتدمير البلاد واذا قد
غشى ذلك المكان ظلام دامس وقتام متلامس وعقب ذلك
صراخ وضجيج وعويل وعجيج حتى اعتراني الفزع واشتمانى

الخوف والورع واحترت في ماذا عسى أن يكون سبب هذا من
الانقلاب السريع والانعكاس المروع

وبعد مرور ساعات على هذه الحالات صرخ رئيس الظلام
أن اسكتوا لنسمع نهاية الامر والكلام وعلى أثر هذا القول الذوى
العقول حدث سكوت لم يبق بعده الا الشهيق والنهيق والزفير
والصفير ففهمت بالقريحة لا بالاقوال الصريحة أن قائدى الكرياء
والتجديف دحرهما راعي اسرائيل الظريف وقيدهما وعساكرهما
بقيود أبدية (يه : ٦) وقد سقط البعض فى الحرب وأنحن من
الطعن والضرب فاستقدم الملك القائدين وقال لهما ماذا حدث
لكما من المصائب وشر النوائب وما بالكما مكبلان بالقيود
كالاسود ؟

قال قائد التجديف : مولاى وكل منانى يحجبنى الخجل
أن أرفع عينى اليك ولا يدعنى الحياء أن أقف بين يديك فعدم
جوابى برهان على عظم مصابي ومشقاتى وأتعابى وألمي وعذابى
وقد كنت أؤمل أن النصر يكون حليفى فى كل مكان كما كان بين
العرب والعجم واليونان لكن خابت منى الآمال فى هذه
الليال وانكسرت في حومة القتال أنا وكل الابطال وفررت
رغماً عما عرفته بى من قوة الجأش والجنان يوم موقعة فردوس
الجنان

قال الملك من هو ذلك الجبار والبطل القهار ؟ الذى جردك

من رياستك ودهائك وسياستك

قال القائد :لا أدرى أهو انسان أم الرحمن. وانما ماجرى أقصه عليك لكى تتدبر في أمرنا قبل أن يختلط خلنا بخمرنا ويقف دولاب شرنا كل عمرنا

بينما كنت فى هذه الليال على رأس جبل من الجبال أحارب رعاة كانوا يحرسون حراسات الليل من داهية أو ويل واذا بضوء أضاء حولى أفقد منى النظر والنور والبصر فعرانى الارتعاش حتى لم يبق في انتعاش وسقطت سقوط الراكب عن غارب وما كنت أقف على القدم لأعلم ان كنت فى الوجود أم في العدم حتى سمعت أصواتاً من السماء ولمحت مخائيل وجنوده يتحلقون فى السحب والهواء

« ٤ » قال ملك الظلام : ماذا فهمت يا همام من ذلك الكلام ؟

قال : مازاد شرى وأكثر ضرى وأعدمنى قواى وسبب لى بلواى وفرق عنى الابطال وأركان الحرب والرجال وأولانى القلق وسبب لى هذا الارق الا صوت شيخ زعزع الجبال وعاد علي بالوبال وهو قوله: هوذا قد غلب الاسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة (رؤ ٥ : ٥) وكان الضابط نسروخ أحد أركان حربى بقربى فسمع هاتفاً جاوبته الوديان وملأ هتافه كل مكان وهو : سقطت سقطت بابل العظيمة وصارت

مسكناً للشياطين ومحرساً لكل روح نجس ومحرماً لكل طائر نجس وممقوت (رؤ ١٨ : ٢) ولما سمع هذا الصوت فاجأه الموت

وبعد ذلك سمع الضابطان بيل وعشتاروت مبشراً ينادي الرعاة ويقول لهم : قد ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب (لو ٢ : ١١) وراى زفس والزهرة وايس جمهوراً يسبحون الله ويقولون (المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وبالناس المسرة (لو ٢ : ١١) فتركوا أسلحتهم ولجأوا الى الفرار في تلك القفار أما أنا فوقفت في ذلك المكان أسخط على الزمان حتى ذهب أولئك الارواح ينشدون نشيد الافراح ثم جئت مخذولا مقهوراً مرذولا

وما كاد ينتهي من روايته حتى تحفزت للقيام والذهاب الى دار السلام

« ٥ » وقد قص باقي هذه الرواية من ليس فيه ضلال ولا غواية فقال وأجاد في المقال

انطلقت الى اليهودية في غروب شمس مضيئة وقصدت بيت لحم مدينة داود فسرت أنشد مكاناً للمبيت وبينا أنا أسير في طرقاتها وأجوب ساحاتها نظرت شخصاً فقيراً يقود فتاة حقيرة فاقتفيت منهما الاثر لاقتص ذلك السر المعتبر فوقفا على باب بيت رفيع الاركان شاهق البنيان وقرعاه قرعات متواليات فخرجت جارية

من بنات الشيطان كانت تخدم ذلك المكان وقالت من هذا الطارق إلا سارق؟ فأجاب أنا يوسف النجار يابنت الاحرار وامرأتي مريم الحرة لاتعرف المضرة ياذات كل مبرة وكلانا من هذا الحي لانعرف الغي وقد كنا في الناصرة مقيمين ياذات الجود المبين وقد جئنا نكتتب بحسب النسب

فقالت الجارية ماذا تنشدان الآن؟

قال يوسف ننشد مأوى للمبيت في هذا البيت

وقبل ان يتم كلامه عارضته الجارية قائلة ليس في هذا البيت مكان تحولا عن الباب لئلا يدركما المصاب وأطرد أنا بهذه الاسباب

فقلت: لاحيلة للراحة في هذه الساحة فهؤلاء قساة القلوب ملطخون بالاقذار والعيوب لا يقرون الضيف لا في الشتاء ولا في الصيف

وكانت تلك الليلة شديدة البرد فما صدقت أن صادفت فندقاً حتى عرجت عليه ولكن شفقتي على ذينك الشخصين لم تدعني أن أجد راحة في ذاتي فلم ألبث قليلا حتى خرجت أسعى في طلبهما لأحضرهما الى ذلك الفندق فجلت أسعى وأطوف في أزقة تلك البلدة الصغيرة الحقيرة (مى ٥ : ١) فلم أقف لهما على أثر فعدت الى ذلك الفندق متوجع القلب من صروف الزمان وويلات الانسان وجلست بجانب شيخ كان يصطلي على نار وسألته قائلا

أيها الشيخ الوقور ماهو اسمك وكم بلغت من السنين منذ ولدت الى هذا الحين ؟

قال اسمي سمعان وقد بلغت من الكبر عتياً وعما قليل أذهب نسياً منسياً وأمضي الى الرمس مع رجال أمس فما أقل سني حيواني وأكثر مشقاتي (تك ٤٧ : ٦)

قلت ما رأيت في زمانك من أفراحك وأحزانك قصها علينا لندرأ هنا الويل في هذا الليل

قال ليس في العالم سرور بل شرور فقد اجتزت الزمن في المصائب والاحن ولكن أؤمل أن أجتاز باقي العمر بالسرور والطهر

— كيف يكون ذلك والسعادة في أويقات الشبيبة التي ليس لك فيها إعادة ؟ والآن قد وهن منك العظم واعتراك الضعف والسقم

قال لا أنتظر راحة جسدية بل روحية

— هل في الاستطاعة أن أساهمك في كسب هذه البضاعة؟

— قال ذلك في الطاعة

— لمن هذه الطاعة يا أبا القناعة

قال للعتيد أن يملك على بيت يعقوب الى الابد

— لا أرى الآن دواعي تستلزم الانقلاب في الهيئة الحاكمة فان أمتنا ثمن متوجعة تحت نير الرومانيين الباهظ وولاتنا مقيدو

الحرية يؤدون الجزية صاغرين فضلا عن المساوى والظلم والغشم التى يعاملون الرعية بها فعلى فرض أن رومية منحتنا استقلالا وحرية فهل ترجو العدل والمساواة من هؤلاء الطغاة؟

— قال لا نؤمل أن يعاملونا بالخير

— إذاً لا أمل لنا في ماتتوقعه صابراً

— قال الرجاء موجود في الملك ابن داود

— وعلى تقدير أن ابن داود هذا يعدل في ملكه ويورد الرعية مورد الراحة والسعادة فلا يفعل مثله أعقابه وخلفاؤه فان داود عدل وسليمان حكم وراحبعام ظلم وغيرهم غشم ونبذ شريعة الله وكفر به وعبد الاوثان

— قال ان ذلك الملك المزمع أن يملك لايموت بل يحيا الى الابد

— إذاً ليس هو انساناً بل ملاكا

قال ليس انساناً (محضاً) ولا ملاكا

— إذاً هو الاله

فأطرق الى الارض ثم رفع رأسه وقال ان أجبتك أنه الاله فستقول لى أن الله لايراه أحد وان شرحت لك صفاته تزداد تعجباً ولكن المستقبل سوف يريك من هو ويمتعك بملكه ويجعلك أحد أنصاره والقائمين بدعوته

— وأنت أيضاً؟

قال أنا سأراه فقط وأسير في سبيل جميع الناس قبل أن يجلس

على كرسي داود

وعند هذه العبارة استوقفته ثم أخبرته عما صادفته في شوارع بيت لحم شاكياً قساوة سكانها

— قال من يعلم ربما كانت الفتاة حاملا بملك اسرائيل الجديد فان كانت هي فسأنطلق الى أورشليم وأنتظر قدومه الى الهيكل وأعانقه كوعده لي ثم أتوجه الى جدوده آدم وابراهيم واسحق ويعقوب وأبشرهم بولادة شهوة جميع الامم ورجاء اسرائيل

وما كاد ينتهي من عبارته حتى سمعت ضجة في الخارج فظننت أن الحراس التقوا بلصوص فتركته وسرت مسرعاً لكي أجتلي الخبر ولم أخط قليلا حتى وجدت الحرس يسوقون جماعة بالضرب واللطم ويقولون لهم أنفضوا غبار السكر من رؤوسكم كفاكم خلطاً وجنوناً

أما أولئك الافراد المعتقلون فكانوا يضجون ولا يبالون بذلك الوعيد والتهديد

وبينا انا أسير الهوينا حانت مني التفاتة الى الرجل الغريب الذي كان ينشد مأوى له ولامرأته فسألته قائلا عسى أن تكون وجدت مكاناً لجأت اليه ؟

قال وجدت مغارة

— الحمد لله على ذلك أرغب اليك أن تجيبني عن سبب اعتقال هؤلاء الرجال

قال ألا تسمع ماذا يقولون ؟ اقترب قليلا واسمع
فاقتربت واذا أحدهم يقول انى أبشركم بانه قد ولد لكم مخلص هو المسيح الرب المنتظر)

— من أين علم هؤلاء بذلك ؟

قال - كانوا قبل برهة يحرسون حراسات الليل على غنمهم في القفر فأشرق عليهم نور من السماء وكلمهم ملاك بمثل العبارة التى سمعتها من أحدهم وأعطى لهم علامة لتأييد كلامه وقد وجدوا كما قال لهم ثم رأوا معه جمهور ملائكة يسبحون الله

فتذكرت حينئذ كلام الشيخ سمعان وقلت للمتكلم لم يبق في احتمال للكلام عد بنا أرنى أين ولد الماسيا ان كنت تعرف المكان

قال أعرفه جيداً وسأريكه غير انه يلزمنى أن أقف أولا على مايحل بهؤلاء الرعاة المتهمين بالسكر والجنون ظلماً

ولم ينته من كلامه حتى أفلت واحد منهم بسرعة وهو يقول انى ذاهب الى أورشليم لاوقظ الكهنة وشيوخ الشعب وأبشرهم بولادة شهوة الاباء والانبياء فضرب النفير ليدعو أحد الفرسان لكى يقتص أثره وكانت الظلمة شديدة فترجح لدينا أنها تحول بينه وبين ذلك الراعي لكن كان فراره سبباً لزيادة التنكيل برفقائه وشدة الاحتفاظ بهم وطرد الناس من أمامهم ووراءهم

ولما لم تبق لنا وسيلة أو حيلة للوقوف على كل ما يحل بهم من

المصاب عاد بي الى حيث ولد الماسيا فبلغنا مكاناً تأوى اليه قطعان البقر والغنم فأمسك بيدى وسار بي بين ثغاء الغنم ويعار المعزى وخوار البقر حتى بلغنا باب مغارة فلم أعد من ثم محتاجاً لقيادته لان نوراً كان ينبعث منها الى الخارج فنزلت خلفه على ضوء ذلك النور الساطع ولما أدركت الاسفل شعرت بروح جديدة قد انبعثت في جسمي واعترانى الفرح الممزوج بالخشية والاهابة والخشوع ولم تعد ركبتاى تحتملان وقوفي فخررت على الارض ساجداً وصرخت قائلا

لقد سمعناه في افراثة فلندخل مظلته ونسجد في المكان الذى قامت فيه قدماه (مز ١٣٢ : ٦ و ٧)

«٦» ثم وقفت وحانت منى التفاتة الى يميني فوجدت مفوداً وامرأة بقرب منه تفسر هيئتها عن الكمال وتلوح على طلعتها الوقار والاجلال وفى حضنها طفلا ينبعث من وجهه الانيس النور . فأومأ اليه يوسف بأصبعه وقال لى هذا هو محط رحالك وموضوع آمالك وهذه هي مريم ابنة داود والدته السعيدة التي لم تعرف بجبله رجلا

ثم جلس بجانبها وأجلسنى معه وأخذ يقص عليها ما حدث للرعاة ولما أتم روايته قالت مريم لاينالهم الشر ولا يدركهم الضر فسنرى عناية الله بهم ظاهرة

قالت ذلك والتفتت الى الطفل وناجته قائلة : لقد ارتضيت أيها الابن المولود منذ الازل أن تولد منى الآن . الآب يدعوك ابناً له لانك ولدت منه وأناأ دعوك ابنى لاني ولدتك وأنت واحد .

ميلادك الاول عجيب وأعجب منه الثاني . لاأطلب لك أماً في السماء ولا أباً على الارض . أحاط بك البطن وأنت تملأ السموات والارض . يضمك المذود والحضن وحضن أبيك السموى ولا يسعك الفضاء والفراغ . أخدمك هنا وفي السموات تقدسك الملائكة . أحدق بك وألمسك بارادتك ويحجب السارافيم أعينهم من النظر الى عظم بهائك : أسقيك لبن ثديي لانك جائع وأنت الذي تمنح الحيوة والقوت لكل ذي جسد (عن السروجي بتصرف)

وما كادت مريم تختم نشيدها هذا حتى سمعنا وطيء الاقدام خارج المغارة فخفقت قلوبنا وتغيرلون وجوهنا واعترانا الفزع فسكنت مريم روعنا قائلة لاتخافا لان الرعاة أفلتوا من ايدي الحراس وقدموا الينا . ولم نلبث برهة حتى دخلوا المغارة وابتدأوا يقصون علينا كيف نجاهم الله من الضيق قائلين

بعد أن خرجنا من هنا طفنا أزقة القرية ننادي ونكرز ونبشر بولادة المسيح فاعترضنا الحراس وقبضوا علينا وغلوا ايدينا بسلاسل من حديد واستاقونا كأننا سكارى ماعدا أحدنا قد أفلت من ايديهم وفر هارباً الى اورشليم لكي يبشر اهلها ولما وضعونا في السجن مكبلين ومثقلين بأغلال الحديد تذكرنا يوسف حين كان مسجوناً بمصر ودانيال في جب الاسود والثلاثة فتية حين ألقوا في أتون النار ويونان في بطن الحوت وشرعنا نصلي ونستغيث بالمسيا ثم ختمنا الصلوة بهذا النشيد

نمجد الرب القدير مع ملائكة السلام
نرفع الصوت الجهير كارزين للانام
جاءنا المسيح حقاً دارجاً مثل البنين
اقبلوا الانجيل سحقا للعصاة الكافرين
قد رأينا اليوم طغمة في السما علا الفضاء
مجداً لله قالت والسلامة للملاء
بيت لحم ذى الحقيره قد تسامت في البلاد
قرية داود الصغيره ولدت رب العباد

وما كدنا نختم هذا النشيد حتى سقطت السلاسل من أيدينا وانفتحت لنا أبواب السجن من ذاتها فخرجنا منه ونحن غير مصدقين بالنجاة من شدة الرعدة التى اعترتنا

و بينما هم فى هذا الكلام واذا برفيقهم الذى ذهب الى أورشليم قد حضر وما سلم حتى تكلم قائلا

ان العاصمة أمست فى شغل شاغل وهم متواصل بخصوص ولادة الماسيا لان مجوسا ثلاثة من ملوك المشرق سكان الغربة السعيدة واقوا الى اورشليم ونزلوا ضيوفا في بلاط هيرودس الذى لما سألوه أين هو المسيح المولود ملك اليهود لاننا رأينا نجمه وأتينا لنسجد له اضطرب من هذا النبأ وجمع كل الكهنة وكبار الامة ومفسرى الكتب المقدسة وسألهم عن المكان الذى يولد فيه الماسيا فأجابوا معا

(بيت لحم)

وما انتشر هذا الخبر بين أولئك البشر حتى قامت له المدينة وقعدت وما عدت تجد اثنين يتحدثان بغير ذلك وقد مررت على باب رواق سليمان فوجدت جماعة يتجاورون منهم من يكذب وآخر يصدق فلما رويت ماسمعته وعاينته اندعروا وكان البوليس السرى منتشراً في كل نقطة بخلاف كل ليلة فانبرى لى أحدهم من بين ذلك الجمع وقبض علي قاصداً أن يقودنى الى البلاط فاحتلت عليه بدعوى أن هيرودس الآن غارقا في سنة النوم واني غداً آتيه فى هذا المكان لنذهب معاً وأنال الجائزة عن ذلك

وبهذه الوسيلة نجوت من يده على أني تأكدت من جهة أخرى أن النوم طار من رأس هيرودس وما عاد يهنأ بأكل أو شرب وطرد من بلاطه المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات وأبعد عنه الملاهي وشمله الحزن

ولما أتم كلامه قال الرعاة بعضهم لبعض هلموا بنا الى القفر لنتعاهد الاغنام ثم انطلقوا

الفصل ال

(١) مجيء المجوس (٢) البشارات على المسيح

« ١ » قال الراوى بعد أن انطلق الرعاة الى القفر انطلقت أنا أيضاً أقتص أثر الشيخ سمعان لابشره بأني قد وجدت الماسيا وآتى به لكي يسجد له ويشكر الله الذى أنجز ماوعد به للاباء والانبياء كما فعلت أنا فخاب سعيي إذ وجدت ذلك الفندق موصداً ولم أكن أعلم أين منزله فالتزمت أن أعود على أثرى وما كدت أن أجلس تجاه مريم ويوسف والماسيا حتى حضر جماعة آخرون من الرعاة وبيدهم هدية أقساط ملآنة من اللبن والسمن والجبن فتناول يوسف من يدهم الهدية ولما رأوا أننا شاعرون بشدة برد تلك الليلة ظنوا أن الماسيا شاعر بذلك أيضا فجمعوا عصيهم وكبروها فأوقدوا نارا فدفئنا (عن خطبة عيد الميلاد لايليا مطران صيدنايا) ونامت العذراء أنى لم أذق الطعام تلك الليلة وكذلك يوسف فأمرته أن يغلى اللبن فغلاه فتناولنا منه حاجتنا وهكذا قضينا الليل ساهرين وفرحين ولما طلع النهار خرجنا الى خارج المدينة نترقب مجيء المجوس ووقفنا على الطريق المؤدى الى أورشليم مسافة ثلاث ساعات حتى مللنا وفرغ صبرنا فظننا أن هيرودس أعاقهم ذلك النهار عن

فرجعنا ولما وصلنا الى تلك الحظيرة وجدنا فيها جمالا
كثيرة وخيلا كثيرة غريب وعجيب وعبداً يحرسها فقال لي حينئذ
ان المجوس أتوا من طريق آخر على هداية النجم
الذي تبعنا انه ارشدهم وقادهم الى هذه البلاد وهكذا دخلنا المغارة
بلا شك ويقين فلم نجد فيها غير مريم والماسيا لكن رأينا المذود
ملآناً من صفائح ذهب واكياس تنتشر منها رائحة اللبان والمر
فجلسنا صامتين منتظرين ان نسمع من مريم شيئاً جديداً وخبراً
مفيداً ففهمت ذلك وقالت بعد أن خرجتم بساعة انتشر نور ساطع
في المغارة بشكل نجم وعقيب ذلك سمعت هدير جمال وبعد برهة
دخل المغارة ثلاثة رجال بيد كل منهم وعاء فألقوا الاوعية على
الارض قدام الماسيا وخروا ساجدين بخشوع وخضوع ودموع
وقبلوه مثنى وثلاث وجلسوا صامتين وقد انتشر البشر والايناس
على وجوههم ثم فتحوا الاوعية وأخرجوا منها هذه الصفائح الذهب
والقوالب اللبان وهذا المر ولم أكن أحسن قبل هذه الأونة
بهذه اللغة العربية فأوتيت معرفتها وفهمت من كلامهم عبارات
الخضوع لابني مقدمين له الذهب جزية واللبان عبادة والمر لتضميخ
جسمه به فسألتهم عن جنسهم وبلادهم فقالوا نحن أمراء العربة
السعيدة المشهورة ببلاد سبا فتذكرت نبوة أبي داود في (مز ٧٢)
ملوك سبا وشبا يقدمون هدية

ومما زادهم عجباً ودهشة جوابي لهم حين سألوني عمن هو أبو

للناس لا لك لانه لا يرى وانه
عجبهم أنهم لا يدرون شيا من مبادىء ديننا النقية وعبادتنا الربية فيلزم أن تعلمهم يا يوسف بن داود صحة الديانة والناموس والانبياء مقابل معروفهم لنا ألا ترى هذا الذهب الذى لا تفنيه الايام والاعوام؟ ومن رأيي أن تقدم لهم مجموع الاسفار التى كان الكاهن زكريا نسخها لى أثناء وجودى داخل الهيكل أو الاحسن أن نحفظها للماسيا الى حين يشد أزره ويبلغ رشده

قال يوسف : أظن انهم لا يحسنون التكلم ولا القراءة بلغتنا العبرية فيحتقرون هديتنا بدل أن يوقروها

قالت مريم : تذكرت أن الكاهن زكريا حدثنى عن شيخ مسن اسمه سمعان كان في الاسكندرية لبث فيها زهاء العشر سنين وفي هذه المدة استطاع أن يتعلم اللغة اليونانية [illegible] أسفارنا بهذه اللغة بين يهود مصر [illegible] البطالسة تحصل على مجموعها مكتوبة باليونانية والعربية معاً على ورق البابيروس فلنبتعها منه بثمن قليل أو كثير ونقدمها لهؤلاء الامراء تحفة ثمينة

قال يوسف : ليكن كذلك

قلت أنا وأين المجوس الآن ؟

قالت مريم: بعد أن مكثوا حصة يعجبون من منظر الماسيا ويقصون علي حادثة ظهور النجم وارشاده لهم واختفائه عنهم حين

من أورشليم وتقليد أسلافهم انه يكون علامة ولادة ملك تتعبد له كل ملوك الارض وتؤدى له الجزية وتعترف بسيادته وسلطته انطلقوا الى السوق ليبتاعوا لهم زاداً

قال يوسف : لو استوقفوا عن الذهاب برهة لقمنا لهم بواجب الضيافة لان لهم علينا حقها

قالت مريم : حاولت ان أستوقفهم فلم أستطع الى ذلك سبيلا ولكن منذ الآن فصاعداً يلزم أن تؤدى لهم كل ما يجب لهم علينا وبينا نحن صاغون الى حديث مريم الرقيق واذا المجوس أنواو دخلوا المغارة فوقفنا لهم اجلالا وتعظيما وحييناهم بالسلام والابتسام ولما جلسوا قال أحدهم أن غرضنا من احتمال مشاق السفر أن نعقد مودة مع الماسيا وهو في المهد ونكون له انصاراً نحن وقومنا متى شرع يدوخ أهل الارض ويخضعهم لقضيب ملكه

فتبسمت مريم ضاحكة وقالت : تستحقون الشكر على هذه العواطف والحاسات والنوايا السليمة غير أن الماسيا لا حاجة له الى مثل ذلك

قالوا كيف لاحاجة له الى الانصار ونحن نراه ليس هو ابن هيرودس ولا ابن طيباريوس

قالت : لانه لايسود الممالك ويخضع البلاد ويدوخ العباد بالسيف بل بالتعليم

قالوا إذاً لايملك كسنحاريب ويختنصر ويسود مثل دارا

وكورش وسيروستريس والاسكندر وقيصر

قالت : الفرق عظيم بين ملك ابنى وملك أولئك لان ذاك روحي لانهاية له وهذا بالعكس

قالوا : من أين تعلمين ذلك ؟

قالت : من الملاك الذى بشرني بالحبل به لانه قال لى انه (على على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية (لو ١ : ٣٣)

قالوا : اذاً لايتجاوز سلطانه حدود اليهود

قالت : بما أن ملكه روحي ولا [illegible] مكان واحد لانه يستولى على حواس الملوك [illegible] قلوبهم وطاعتهم لشريعته الالهية كما قال [illegible] ٧ : ١٤ و ١٧)

(٢) ولم يكن يعلم المجوس من أمر الانبياء شيئاً فظنوا أنهم كالسحراء والمنجمين والعرافين والمشعوذين وكهنة الاصنام الذين كان يتوهم العرب والسريان واليونان في الجاهلية أنهم يعرفون الحوادث المستقبلة ويخبرون بها

ولا يظن القارىء أن شعور المجوس بأن ظهور ذلك النجم يدل على ولادة المسيا هو نتيجة أولئك المشعوذين وانما هو تقليد كان منتشراً بين شعوب الشرق الذين أحدهم العرب المستعربة الذين تقلدوا عن اسماعيل أبيهم وهذا تقلد طبعاً عن أبيه ابرهيم الذى قال الله (ويتبارك بنسلك جميع الامم) وابرهيم تقلد عن نوح على حسب النسخة العبرية أو سام ابنه

وأخذ عنه ونوح تقلد عن قينان بن شيث بن آدم (ان نسل المرأة يسحق رأس الحية)

قال المجوس أن انبياءنا لم يخبرونا بمثل ذلك وانما أخذنا عنهم وعن أسلافنا ان الشرق بأكمله سيخضع لملك من العبرانيين ألا تدرون ماذا أجاب كاهن صنم بعلبك اسكندر المكدوني حين سأله ان يخلفه في ملكه الواسع ؟ فقال له : ان ولداً عبرانياً يخلفك في ملكك (الركن الرابع من منارة الاقداس لاغر يغوريوس أبي الفرج ابن العبري)

قالت مريم : ان أقوال كهانكم تحتمل الصدق والكذب معاً صدقوا لا يصدقون الا في الحوادث الممكن الاخبار بها من ذوات الاحوال لان ارواح الشر المحدود علمهم التي تلقنهم (ان صحت دعواكم والافهي تحت الريب) لا تدرك الحوادث المدفونة في عالم الغيب المحفوظة لعلم الله فقط الذي لا يحل في صنعة الايدي ولا يسكن الا في القلوب المتواضعة النقية والهيا كل الروحية التي لا تتدنس بارجاس الامم وعبادتهم الاصنامية الممقوتة

قال المجوس : اعتدنا أن نعول كثيراً على أقوال كهاننا ومن رأينا ان لا نفتح حرباً دموية الا بعد استشارتهم واستخارتهم

قالت مريم : انكم لفي غرور لا محالة أتجهلون كم انخدع من ملوككم بغواية الكهان وخديعتهم فضلوا وذلوا ؟ وحسبكم شاهداً ما حدث لكريسوس ملك سرديس يوم أرسل وفداً الى كهان ذلفي

يستشيرهم ويستعلم منهم عن نجاحه فى الحرب التى قصد أن يفتحها مع الفرس فاغتر بجوابهم المعمى وكلامهم المبهم الذى يحتمل معنيين نجاحه وخذلانه معاً بقولهم له (إنك يا كريسوس إن فتحت الحرب تسبب دمار مملكة عظيمة .

وهذا الكلام يقدر أن [illegible]
الاحوال ولكن ماذا كانت [illegible]
طالبة السعيد وقاله الحسن قاده واطمئنه على [illegible] واستبشر مما يتمنى مملكة الفرس؟ فقد خذل وأسر فى الحرب ودمرت مملكته (عن هيرودوتس)

قال المجوس : لابد أنك تتذكرين أن كاهنة ذلفى قدرت أن تعرف بعرافتها ما كان يفعله كريسوس في قصره مع ما بينهما من بعد المسافة اذ قالت للوفد (انى شممت رائحة سلحفاة تشوى مع لحم الخروف فى خلقين من النحاس غطاؤها من نحاس أيضاً)

وكان كذلك أيضاً لان كريسوس الذى عين يوماً مخصوصاً لرسله يمتحنون فيه الكاهنة لمعرفة النسيب ويسألونها عما يفعله فى ذلك اليوم فكر أن يعمل فيه مالم يخطر على بال أحد أو يكن فى حسابه فأخذ سلحفاة وخروفاً وقطعهما بيده قطعاً وطبخهما فى قدر من نحاس

قالت مريم هذه القصة على فرض صحة [illegible] لا تشبه [illegible] اكثر ما قاله وهو أن الشيطان [illegible] كان يخبر الكهان بحقيقة [illegible]

يناجيهم بأكثر ما يصل اليه علمه من الحوادث الحاضرة وأما المستقبلة فلا يعرفها غير روح الله القدوس الذى أوحى الى رجالنا الانقياء معرفة الغيب دون سواهم وأنا أضرب

دولة الفرس التى ذكرناها فى سياق الكلام كانت في عصر ة النبي ايالة حقيرة مذلولة خاضعة تؤدى الجزية صاغرة للملوك ومادى وما كانت توجد قرينة فى زمن النبي تدل على أن هذه الايالة يأتى زمن يرتفع فيه شأنها وتسود على غيرها كما حدث ذلك بعد بمائة سنة ولكن نبياً أخبر به بالروح القدس كأنه كان شاهداً له وبلغ من قوة نبوته أن عين اسم الشخص الذى كان مزمعاً أن يحرر الايالة من عبوديتها ويكون على يده فتح الممالك العظيمة فقال : (هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمماً واحقاء ملوك أحل لافتح أمامه المصراعين والابواب لاتغلق أنا أسير قدامك والهضاب أمهد اكسر مصراعي نحاس ومغاليق الحديد اقصف وأعطيك ذخاير الظلمة وكنوز ات لكي تعرف انى أنا الرب الذى يدعوك باسمك لقبتك وانت لست (اش ٤٥ : ١ — ٤)

قال المجوس بماذا يمتاز عندكم أيتها السيدة النبي الصحيح النبوة خلافه سيما عن باقي الناس

قالت العذراء بجملة أمور (احدها) العفة والطهارة فلا يمكن

أن يستخدم الله القدوس الكلي الصلاح والخير والبر والطهر مدبر
السيرة وفاعل الشر لاتمام مقاصده الالهية (الثاني) الدقة
ولو أتى النبي
من أنه العدل المطلق
السامية المنافقين والمرائين والمرتشين والجبناء والخائفين (الثالث
ان يمنح الله لذلك النبي فعل المعجزات شهادة له على أنه مرسل
عنه تعالى الى قومه بمهام عظيمة (الرابع) ان يخبر بوقوع حادث
في الزمن المستقبل لاتوجد لوقوعه قرينة في الزمن الحالي (الخامس)
أن يتم ذلك الحادث كما أنبأبه النبي في حيوته أو بعدها (السادس)
أن تتفق نبوة الانبياء على الانباء بحادث مهم ولو اختلفوا
زماناً ومكاناً

وقد تمت هذه الشروط في أنبيائنا عليهم السلا
وبالاخص الشرط الاخير لانهم أجمعوا على الانذار بمجيء الماسيا
الذي تشاهدونه

قال المجوس من صالحنا
أولئك الانبياء ونقف منها خصوصاً
فبشرت بالماسيا ونحفظها عندنا ذخيرة ثمينة

قالت مريم ذلك يهمنا أكثر مما يهمكم ومن صالحنا نحن
أيضاً وقد أعددنا لكم مجموعة من تلك الاسفار باللغة اليونانية
لانكم لاتحسنون معرفة لغتنا الممزوجة باللغة السريانية بسبب السبي

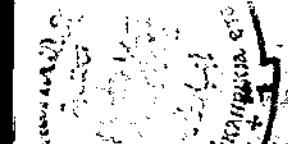

والبر والطهر مذمو
)الدقة
الخائفين (الثالث
له على أنه مرسل
خبر بوقوع حادث
ى الحالى (الخامس)
بعدها (السادس)
ث مهم ولو اختلفو
ما عليهم السلا
النار بمجى والمسي

ومن صالحنا نحن
نار باللغة اليونانية
سريانية بسبب السبي

ى وان كان يوجد بينها وبين لغتكم نسبة كبيرة كما تعلم

ب وأومأت الى يوسف ففهم غرضها فأسرع الى الخارج
ياب مدة حضر ومعه اسطوانات من رقوق ملفوفة برداء من
ل فدفعها للمجوس وجلس في مكانه صامتاً ينتظر أوامر مريم

فقالت مريم هذه مجموعة أسفار انبيائنا تحتوى على نظام عبادتنا وشريعتنا وعوائدنا وقوانين ملوكنا وتاريخ رفعتنا حين نكون مع الله وسقطتنا حين نبتعد عنه وفيها من المواعظ والنصائح والحكم والاداب مايعجز عن أن يأتى بمثله كبار الفلاسفة فضلا عن النبوات التى نحن في صددها وغيرها

قال المجوس أين النبوات المختصة بالمسيا ؟

فدعت مريم يوسف وقالت له خذ الاسفار بيدك واكشف لنا أولا على النصوص التى تحدد زمان ولادة ابنى وظهوره للعالم
التكوين واقرأ من بركة جدك يعقوب لبنيه بركته ليهوذا
واحد السفر وقرأ مايأتى (يهوذا جرو أسد من فريسة صعدت
جثا وربض كأسد وكلبوة من ينهضه لا يزول قضيب من يهوذا
مشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب
(تك ٤٩ : ٩ و ١٠)

قالت مريم هذا النص الذى خاطب به جدى يعقوب أبي يهوذا
مخبراً اياه بما يحدث له ولنسله من بعده بالسيادة التى يسمو بها على

[illegible] تعلم منه أمور

الثانى تحديد الزمان الذى يأتى فيه كما فسر الرابيون وفهم ذلك

تعلم يايوسف أن هذا الطاغية هيرودس القابض على صولجان يهوذ

ليس يهودياً بداعى أن أباه أدومى وأمه عسقلانية أعن يوسيفوس

فقد زال باغتصابه الملك قضيب يهوذا ولا أمل أن يحرز

اسرائيل الا حين يجلس الماسيا على كرسى بيت يعقوب

قال يوسف أعلم ذلك

قالت مريم اطو السفر الذى بيدك وخذ سفر دانيال واذ

لضيوفنا الاعزاء من الاصحاح التاسع عدد ٢٤ وما يليه

فترك يوسف السفر الاول وتناول الثانى وشرع يفتش ع

الاصحاح المقصود فلم يهتد اليه فتناولت مريم السفر من يده و

وفتحته سرعة غريبة وقرأت

سبعون أسبوعا قضيت

لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابد

وختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين

فاعلم وافهم انه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها الى المسيح

الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون اسبوعا يعود و يبنى سوق وخليج

في ضيق الازمنة وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له

وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهائه بغارة والى النهاية

حرب وخرب قضى بها و يثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد وفي

الاسبوع تبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الارجاس مخرب
تم ويصب المقضى على المخرب (دا ٩ : ٢٤ ـ ٢٧)

ثم قالت مريم ان هذه العبارة قالها الملاك جبرائيل لدانيال حين
كان يعترف بخطاياه وخطايا شعبه ويطلب بالحاح غفرانها وتجديد
المدينة والهيكل وقد كان هو وأمته في سبي بابل الذى استغرق
مدة سبعين سنة اتماما لنبوة ارميا (٢٥ : ١١ و ٢٨ : ١٠) ويوم
كان يصلى دانيال كان مضى معظم هذه المدة فظهر الملاك فى ختام
صلاته وعزاه ووعده بمجيء الماسيا وعين لذلك مدة وهي السبعون
اسبوعا عبارة عن ٤٩٠ سنة حصرها بين حدين أولهما صدور
امر بحشتا الطويل الايدى كما ذكر في (نح ٢) وما يتلوه الذى
امر بتجديد بناء أورشليم سنة ٢٠ لملكه

الى حينا ٦٩ اسبوعا اى ٤٨٣ منذ صدور ذلك الامر تبلغ
سنة ٧٨٣ لبناء مدينة رومية وذلك بعد مضى ثلاثين سنة من
ولادة نبي حين يصير رجلا يستحق ان ينتظم في خدمة الجمهور ويبتدىء
برسله الالهي وتأسيس مملكته

وفي نصف الاسبوع الذى هو ختام السبعين اسبوعا يثير
اليهود فتنة ضده ويقتلوه فيموت كفارة عن الخطية وتبطل بتقديم
ذاته كفارة كل ذبيحة هذا هو الحد الثانى لتلك المدة

ولا يمكن أن يراد بالاسابيع خلاف كون كل اسبوع سبع
سنين لاسباب احدها أن الملاك قابل السبعين أسبوعا بالسبعين

سنة سنى السبي وجعل مقابل كل سنة أسبوعاً من السنين

ثانياً لو كان المراد بها أسابيع أيام لصرح بذلك كما ف
(١٠ : ٢ و ٣)

ثالثاً ان المراد بالاسبوع عند اليهود سبع سنين كما قال لابان
لابن أخته يعقوب (أكمل أسبوع هـذه فنعطيك تلك أيضً
(تك ٢٩ : ٢٧) ومعلوم أن المراد بهذا الاسبوع سبع سنين
هو واضح من سياق الكلام

وتأييداً لهـذا الاصطلاح عند اليهود [illegible]
ساخطا عليهم (حينئذ تستوفي الأرض سبوتها كل أيام
وأنتم في أرض أعدائكم حينئذ تسبت الأرض وتستوفي
أيام وحشتها تسبت ما لم تسبته من سبوتكم في سكنكم عل
(٢٦ : ٤٣ و ٣٥) ومعلوم أن المقصود بالسبت في هـذا الكلا
أسبوعا من السنين كما هو ظاهر من (لا ٢٥)

ثم أشارت مريم الى يوسف قائلة خذ سفر ميخا واقرأ من أول
الاصحاح الخامس

فأخذ السفر وقرأ مايأتي (وانت يابيت لحم افراتا انك صغيرة
في ألوف يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون متسلطاً على اسرائيل
وخروجه من القديم منذ الازل) مي ٤ : ٧

فقالت مريم للمجوس قد تم الآن هذا النص كما ترون ان المسيا
في بيت لحم بحسب كونه انساناً وأما بحسب كونه إلهاً فولادته من الآب

أزلية لابد لها وانظروا كيف ان العناية الالهية حركت لاتمام هذه
النبوة الحكومة الرومانية فلو لم يخطر على بالها احصاء كل فرد من
أفراد رعاياها في عشيرته ووطنه لما اصدرت تلك الاوامر بذلك
ولو لم تصدر اوامرها لما اضطر رئا ان ننتقل من الجليل الى هنا بلد
داود فما اعجب هذه الاتفاقات

ثم قالت مريم يايوسف بن داود اقرأ لهم نبوة حجي من (ص ٢)
مجد البيت الذي بناه زربابل الوالي فقرأ كما يأتي

(هي مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والارض والبحر واليابسة
وأزلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فاملأ هذا البيت مجداً
قال رب الجنود لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود مجد هذا
البيت الاخير يكون أعظم من مجده الاول قال رب الجنود وفي هذا
المكان أعطي السلام يقول رب الجنود (حج ٢ : ٦ ـ ٩)

قالت مريم طبعاً تجهلون سبب هذه النبوة لانكم لاتعرفون
من أحوال أمتنا شيئاً لبعد بلادكم عن بلادنا

فاعلموا أن أمتنا كانت نبذت ناموس الله وأسخطته فبغضها
وسلط عليها ملك بابل فسباها واخرب بلادها وبالاخص أورشليم
هيكلها المجيد الذي عمره وزانه بأفخر الزينات الملك سليمان بن داود
كان موضوع افتخار أمتنا واعجابها . أما أهل بابل فقد انزل الله
عليهم الضربات والنكبات جزاء كونهم لما تسلطوا على قومنا
رحموهم ويرقوا لهم ويرثوا لبلواهم ولم يعتبروهم أمانة مودعة عندهم

اليوم الافتقاد والرحمة بل ذلهم وعاملوهم بالقسوى واستعبدوهم حتى قيض الله لهم كورش الفارسي وانتقم لهم من اعدائهم اضعافاً وا كرم أمتنا ومنحها هبات وعطايا وامر ان تعود الى بلادها وأن يبنى الهيكل والمدينة

فلما بنى الهيكل لم يرق في أ
حيناً ينتظر فخامة الهيكل الاول
ويتذرون الرماد على رؤوسهم حتى نحمياه عليهم وارسل لهم النبي حجي يعزيهم ويخبرهم ان مجد هذا الهيكل الحقير في اعينكم يكون اعظم من الاول الذى كان يزينه الذهب والفضة فقط أما هذا فيزينه مجد الماسيا الذى سيراه العالم فيه ماشياً ومتردداً ومعلماً وفاعلا العجائب وموزعاً مواهب الاشفية هو وتلاميذه

فما أبهج ذلك اليوم الذى يقف فيه الماسيا مخاطباً الشعب يدعوهم الى قداسة السيرة وينذرهم بقرب الملكوت بل ما أفخر ذلك المكان الذى يطاه بقدميه ويقف فيه واعظاً والجموع من ورائه وامامه وجانبيه ترى وتسمع وتعلي المجد

الفصل الرابع

(١) العائلة المقدسة في الهيكل
(٢) في البرية هاربة الى مصر
(٣) قتل الاطفال

(١) وقد اطالت مريم الكلام والشرح في هذه النبوة
ها حتى مل من السماع احد المجوس وانفرد الى ناحية ونوسد
يه ونام وبعد مسافة ربع ساعة استيقظ مذعوراً وقال لرفيقيه هلما
بنا نستعد للسفر قبل ان يدركنا الضرر من الحضر

فبهت رفيقاه من كلامه واعترى جميعنا ذهول ولبثنا صامتين كأن الطير خيّم على رؤوسنا ثم وقف وتهيأ للخروج واومأ الى رفيقيه فتبعاه وخرجوا معاً وبعد غياب مدة ساعة عادوا الينا ونحن نراقب حركاتهم وسكناتهم وقبل ان تستقر اقدامهم دنوا من الماسيا وسجدوا له وقبلوه والدموع تتدفق من مآقيهم ثم تناولوا يدي والدته وقبلوهما مثنى وثلاث فحاولنا ان نقف على ما تكنه ضمائرهم يل الى ذلك

ولما خرجوا أمرتنا أم الماسيا ان نشيعهم الى خارج بيت لحم نا معهم مسافة ولما قصدنا العود دنا أحدهم من يوسف وهو أشار عليهم بسرعة السفر وقال له احتفظ بحيوة ملك اليهود لرعاه يرعاك المولى

ثم ودعناهم ولبثنا في مكاننا برهة نحدق انظارنا بهم وبدل أن يتخذوا في مسيرهم طريق أورشليم اتخذوا طريقاً أخرى ولما غابوا عن نظرنا عدنا الى المغارة واخبرنا

[illegible] وقالت إذاً لقد

بغير علم هيرودس الطاغية لشر يكن [illegible] وجوده

قلت الاولى بنا أن نغتنم الفرصة ما أمكن ونهرب بالماسيا ونجد في أثر المجوس نطلب حمايتهم ونستجير بهم علنا نجد عندهم مأمناً وملجأ

قالت مريم لا نقدر أن نحرك ساكناً بدون ارشاد الروح القدس فلله عناية خصوصية باوليائه كابرهيم ولوط واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وايوب ودانيال في أضيق مسالكهم ووبخ من أجلهم ملوكاً قائلا (لا تمسوا مسحائي وبانبيائي لا تمكروا) وهو تعالى قادر أن ينقذ ابنه ولو كان في سجن هيرودس

ألا تتذكر نجاة الثلثة فتية العجيب من أتون النار فان كانت غاية الله أن نلبث في اليهودية فلا

لنا مسرته . وانما الواجب أن

فبين هذا الكلام في أعيننا رؤى اليهم

زكريا فختن الصبي ودعاه يسوع ويوم ختانه الاربعين يوماً منذ الولادة انطلقنا به الى اورشليم ونحن في رعب خائفين أن يفشو أمرنا فاتفقنا أن ندخل المدينة منفردين يكون بين أحدنا والاخر

سافة عشرين خطوة

فسرنا على هذا الترتيب أنا وام يسوع ثم من بعدنا يوسف ثم
لوبا أم يعقوب وإخوته ثم اليصابات ام يوحنا

اقتربت من رواق سليمان أبصرت سمعان الشيخ الذي
ر بنا ذكره في صحيفة ٢٦ يتمشى فيه منتظراً مجيء الماسيا فما
حدق بي حتى اغرورقت عيناه بدموع الفرح وطفق يضحك مسروراً
رافعاً عينيه مرة الى السماء وشفتاه تتحركان وأخرى اليّ حتى
اقتربت منه فدخل قدامي الهيكل وأنا اتبعه فلما سرت بضعة خطوات
رأيت بجانب مذبح خبز الوجوه عجوزاً تشكر وتبارك فالتفت اليّ
الشيخ وقال لي هذه حنة النبية قد صار لها أربع وثمانون سنة لا تفارق
هذا البيت تعبد الله بصوام وصلوات وقد احست بالهام بمجيء الماسيا
فدعاها قائلاً : افرحي يا اختي ابنة اسرائيل قد تمت مواعيد
ك اليوم نرى شهوة كل الامم منذ الآن يكون مجد هذا البيت
من مجد البيت الاول لان الله يعطي السلام منه لكل الامم
ت النبية: اني اتيه عجباً واختال بثوب الفخر مع بنات جنسي
خرج من نسلهن من سحق رأس الحية القديمة

وما تمت النبية كلامها حتى وافت أم يسوع وعلى أثر دخولها
دخل الباقي وكان ذلك وقت تقريب ذبيحة الصبح حيث كان قتار
الذبيح يختلط مع دخان البخور واصوات تسابيح أولاد هرون
يرتفع الى السماء .

ثم قدم الشيخ سمعان وقبل [illegible] ملتمساً أن يحله من رباط الجسد ثم [illegible] يكون بعد ابرم وما يلحق والدته من النكبات والاحزان وتقدمت حنة وتناولت الطفل من يد الشيخ وهي تذرف عبرات الفرح وتكلمت عن مستقبل ملكوته وعما يصادفه من العراقيل والمقاومات

ثم لبثنا مدة في الهيكل الى أن أتممنا الفروض فخرجنا من الهيكل ولما بلغنا باب دار الامم تذكرت الشيخ فوقفت افتش عليه بين المارين ولما اجتاز الجميع ولم يكن بينهم ظننت أنه تخلف عنا النبية فعدت الى الهيكل بسرعة واذا به واقف أمام مذبح البخور وقد فارق الحيوة فاغتممت جداً ودعوت النبية لكي تعني بامره وتدعو اللاويين أن يكفنوه اذ كان قصدي ان ادرك العائلة المقدسة

فلما أدركتها دعتني أم يسوع وقالت علمت ان شيخنا الا [illegible] قد رقد بالرب وطارت نفسه الى [illegible] فلا يحسن بنا ان [illegible] زكريا أو ليوسف بن داود أن يعود اليه ولا يدعه حتى يواريه ترابه لان كرامة الميت دفنه

وكان يوسف بالقرب مني فاشعرته بالأمر فامتثل له وعاد على عقبه ونحن سرنا بسرعة

وفي اثناء سيرنا مررنا على قلعة داود فالفيناها قد تداعت الى السقوط فتذكرت مجد اباءنا الذي عفا به الزمان وبكيت فقالت

مريم لاتبك يا ولدي تأمل ما وعد به ابني شعبه (اني أقيم مظلة داود الساقطة وما هدم منه أبنيه واجدده) فكفكفت العبرات على سماع هذه العبارات

ولما صرنا على مقربة من قبر راحيل افترق منا الرابي زكريا واليصابات واخت أم يسوع التي هي مريم كلاوبا أم يعقوب ويوسي ويهوذا (اخوة يسوع)

وما سرنا قليلاً بعد ذلك حتى صادفنا قطيع غنم فاحتلب الراعي ضرعاً وقدّم لنا اللبن ضمن قسط فتناولت مريم القسط منه وباركت على القطيع ثم سرنا وبعد مسافة قليلة بلغنا المغارة ولبثنا ننتظر يوسف

(٢) لم نلبث مقدار ساعة حتى ادركنا فدخل بلهفة وقد قرأنا من محياه شيئاً جديداً بدون أن يعلمنا به

على انه ما صدق أن ارتاح من مسافة الطريق حتى اخرج من عشرة دنانير وطلب الي أن اشتري بها ركوبة وطعاماً للسفر وبيعها في طريق غزة والعريش وقال الحذار من التأخير

فادركت على الفور سر قلقه وخرجت مسرعاً وفي أقل من نصف ساعة اشتريت كل ما هو لازم وسرت اعدو مريداً ان أدرك العائلة المقدسة لكي لا ادعها تتعب من المشي على الاقدام

وما سرت قليلا حتى لمحتها عن بعد ثم توارت ولم أعد اراها حتى اقتربت منها لانها كانت تظن اني عسكري مرسل من قبل الطاغية للقبض عليها ولما آنست مني ظهرت

ثم ركبت مريم ومعها يسوع وسرت انا ويوسف وراءها فقلت له ما حملك على أن تشدد علينا امر السفر ولم تدعنا ان نتزود من معارفنا واقاربنا خصوصاً وقد صار شأن يسوع مشتهراً ومن يعلم ان كان هربنا به يوجب له الحطة في اعين الناس ؟

قال : ان ملاكاً وقف بي في رؤيا الليل وقال لي (قم وخذ الصبي وامه واهرب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك لأن هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه) والاعجب من ذلك انه وقفت امام قدس الاقداس ظهر لي علانية [illegible] بالرحيل ولا تواني : وفي مثل هذه [illegible] الاخبار والاشرار

ثم دعتني مريم بجانبها وجعلت تقص علي من حوادث الليل تسهيلا لقطع مسافة الطريق قائلة

: حين خرجت من خدمة الهيكل وعقد لي اكليل الزواج الرابي شمعون على يوسف بن داود توجهت الى خاصته ومنزله في الناصرة مع انه قبل ذلك خرج من فمي يمين العفة عن يد الرابي زكريا وحنة النبية وقد رضيت بالعقد لاعتقادي بكمال يوسف وعفته

ولما كان اليوم الخامس من وصولنا وذهب كل من المدعوين الى حال سبيله قلت ليوسف

: لا اكتم عنك مكنونات الفؤاد التي درج [illegible]

القتاد وهي اني قد نذرت العفة ولا سبيل الى فك النذر باية صفة

ففهم حالاً مغزى كلامي اني اريد ان اكون زوجة له في كل شيء ماعدا الفرشة ولذلك انذعر واجاب

(ان نذرك هذا يامريم مخالف لسنة الزواج يفك العهد والعقد الذي تم على يد محفل مقدس والتوراة وكاهن الله)

— حلمك يايوسف . ان الزواج يفترض العهد حين تجتمع شروط النية والاتفاق وتبادل العواطف وهذه المزايا لم تتوافر بعد

— ازكي المزاح ان بركة الكاهن لاعظم برهان على ان كل شيء يتعلق بامر الزيجة قد تم ولم يبق عائق يمنع الاجتماع المقدس

— سلمت لك بقوة احتجاجك لكن انا لم اقبل بركة الاكليل على غير تلك النية

— ان النذر لايحسب لك الا برضى ولي امرك

— اي نعم وقد كان وقتئذ ولي امري الرابي زكريا

— اعلمي ان كل شجرة لا تثمر تقطع وتلقى في النار ويبقى اسمها للعار

— اعقل ماقال اشعياء . لا يقل الخصي انا شجرة يابسة لانه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي انى اعطيهم في بيتي وفي اسواري مكانا واسما افضل من البنين والبنات اعطيهم اسما ابديا لا ينقطع

(اش ٥٦ : ٣) فماذا تقول عن استاذتي حنة النبية التي مضى عليها وهي ثيب ٨٤ سنة وقد تركتها في الهيكل تعبد الله باصوام وصلوات ليلاً ونهاراً

فعند هذا الكلام سكت يوسف برهة ثم قال ما دام الامر كذلك لا اجد بداً من قبول نزولك [illegible] ضيافتي واجبة شاكرة

[illegible] الراوي فما انتهت [illegible] على غزة قلت ليوسف : دعني اركض لاجد لكم مكاناً اوفر من الوقوف في ساحات المدينة وشوارعها

قال : من يعلم ان كان يعاملنا اهل هذه المدينة معاملة اهل بيت لحم يوم قدمنا اليها من الناصرة ولم يقبل احد ضيافتنا

فاجبته : ان غزة مستعمرة للرومان والعربان الذين اشتهروا باكرام الضيف

قال : اذاً اركض امامنا .

فركضت ولما صرت على مقربة من المدينة ولم يبق بيني وبين بابها سوى بضعة امتار خرج منه هجان فحدقت النظر بوجهه واذا به أحد عبيد المجوس وبمجرد ما [illegible] وعرفني جاري كلح البصر وقال

[illegible] حطت بالمرام [illegible]

قلت : اين اسيادك ومجد اجدادك

قال : لقد ساروا من هذا الحي يطوون البيد طي

قلت : ماذا اعاقك عن السفر يا ابا الفخر

قال : معالجة دائي الذي هو اكبر اعدائي فقد انفقت الاموال
على هذا المرض العضال

قلت : لقد جاء وقت الشفاء من هذا الداء

قال : من ذاك الطبيب الماهر يا ايا المفاخر

قلت : ذات القدس الزاهر والمجد الباهر

فادرك بسرعة خاطره اني اعني أم الماسيا وقال اذاً يلزم العود
الى أم المعبود

قلت : قد صارت على مقربة منا ومعها يوسف وقد سبقت
لاعد لها مكاناً فتعال ارشدني الى موضع

قال : ماذا حملها على الخروج وركب السروج

قلت : الخوف من بطش هيرودس فان ملاكاً ظهر ليوسف
وامره بالهرب بيسوع وامه الى ارض مصر

ثم عاد بي الي المدينة وأراني موضعاً وما صدقت ان وجدت
حتى عدت على الاثر لكي ارشد العائلة المقدسة اليه فعقل
الجمل وادركني فلما رأتنا ام يسوع تعجبت من سرعة
الوصول واستبشرت بان طريقنا ستكون سهلة

ثم مشينا معاً الى ذلك الموضع ولما أخذنا تمام الراحة تقدمت

الى أم يسوع باحتشام وتوسلت اليها ان تضع يمينها على رأس الصبي وتباركه ففعلت وللوقت شعر بالراحة وكف الألم عنه وشكر الله وطلب ان يرافقنا بصفة دليل [illegible] مرشداً كثيرة فائدتها

وكان بودنا ان نمكث في غزة بضعة أيام ولكن لم يسعنا ذلك لكل وقت على السفر فسافرنا في اليوم التالي

ولما كنا مزمعين ان نقطع اربع مراحل في الصحراء اوعز الي ان اشتري مؤنة وافرة

فخرجنا من غزة ليلاً في الهجعة الرابعة والقمر بدر والجو رائق والنسيم رقيق وما ابتعدنا قليلاً حتى انهار الليل وطلع النهار وبدأت تلعب الغزالة في الفضاء وترسل اشعتها الى الغياض والرياض وتعطي تلك الهضاب والبطاح المكتسية باثواب من الزهور اشكالاً والواناً تسر الناظر وتبهج الخاطر

وكنا نسير في تلك البرية سكوتاً لا تسمع غير نغمات الطيور على رؤوس الاشجار والصخور [illegible] وتكاثرها

وكان الأسيا غارقاً في [illegible] وأستأنفت قصتها قائلة

لم تمض بضعة اسابيع على تلك المحاورة التي جرت لي مع ابن داود حتى حدث ان ملاكاً وقف بي اثناء صلوة الهجعة الثانية من الليل

وانا أرتل مزمور (الرب يرعاني) فاستنار المكان من بهاء طلعته
واشتملني سرور عظيم من رؤيته اذ كنت معتادة على مثل هذه
ر في الهيكل حيث كانت تظهر الارواح العلوية لاستاذتي
بعض اولاد هرون واسمعهم ينشدون الاغاني داخل قدس
الاقداس

ولكن قد حيرني سلامه لي وكلامه بقوله : السلام لك يا ممتلية
نعمة الرب معك مباركة انت في النساء دون سائر ربات الخدور
وساكنات المعمور من القصور :

وزادني حيرة حين اردف السلام: بهذا الكلام (انك تحبلين
وفي البطن تحملين) ما جعلني ان اشك في كوني يقظة واخال اني
غارقة في نوم ثقيل وأرى رؤيا وما زلت اراجع ذاتي حتى ايقنت
اني في يقظة تامة وبالاخص حين قال (ان الولد المزمعة ان تلده هو
المخلص هو الذي يكون عظيماً بهذا المقدار حتى انه يدعى ابن الله
ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية)

فاقول لك يا ولدي بالحق انه لم تعد فيّ قوة للاحتمال واصبح
عندي من رابع المستحيلات فقلت للملاك : كيف يكون
هذا الحبل بلا رجل ؟ :

فلم يتكدر الملاك من سؤالي ولا اغتاظ عليّ كما كان اغتاظ على
الرابي زكريا يوم بشره بحبل زوجته بيوحنا فعاملني بالرقة واللطف
وطول الروح وشرع يحاججني قائلاً

(الا تتذكرين يا صبية توبة جبل ...
وهي ابنة تسعين سنة حين انقطعت عنها عادة النساء. وانما لم تتذكر ذلك الحبل بالعجل فهو ذا اليصابات نسيبتك العاقر العجوز حاملة على خلاف المجري الطبيعي)

قلت : لا شك ان هاتين الحادثتين عجيبتان لكن ليس فيهما ما يناسب كلامك لان شروط الحبل فيهما وان كانت ضعيفة لكنها متوافرة

قال: يامريم انى لم اجىء كمن جاء لجدتك حواء بثمر من الشجر بل جئتك بصدق الخبر جئتك بقوة الحجة وصدق البيان لا بالمكر والطغيان فلم تكن عصا الكليم لها قوة ان تحيي العظم الرميم ولا ان تدع مياه البحر الاحمر كالجلد او تفجرها من الصخر الصلد

اعلمى يابتول ان بشراي لا تقوى ... دوكة البتول ...
تتركن بالعيان على بالايمان ...
قادات كل فضل جيل فاقبلي ...
ان يكون ابا المؤمنين :

اما انا يا ولدي فلم يبق لديّ داع للارتياب في ان المبشر رسول رب الارباب فاذعنت لقبول المعقول وما اجبت بالارتياح حتى زالت عني الاتراح وشملتني الافراح وما صدق ان سمع مني القبول ذاك الرسول حتى تحلق في السحاب واختفى عن العيان في الضباب

قلت لمريم : ذكرت في سياق الكلام ان الملاك اوسع زكريا

اللام فيا للعجب لا اعلم لذاك من سبب

قالت: اعلم يابني انى انطلقت بعد انصراف الملاك الى الوطن والاملاك الى جبال يهوذا حيث كان يسكن الرابى زكريا في عين كارم ولم اخبر بهذا السفر ابن داود الذي لم اعد مكلفة من قبل شروط الزواج ان اعلمه بكل تصرفاتى لانى صرت له رفيقة ومن عبودية الزاوج عتيقة

ما علينا بعد ان سافرت السفر الشاق بدون أن ألوي ساقاً على ساق بلا زاد ولا رفاق أدت بي خاتمة السفر الى الحي المشتهر بالمنزل المعتبر فادهشني كلام العاقر لما فيه من المعنى الباهر فانه حالما سمعتها صوت السلام ردت عليّ بوقار واحترام قائلة : من أين لي بهذا المقام أن تزورني أم رب الأنام لأنه مذ وقع في أذني صوت سلامك ورقيق كلامك تحرك الجنين حركة سجود لمعبود وركوع بين صيرتي أن أعلم انك حاملة بخالق الأجنة فيا لوفور شرف هذه البلة

ثم أخذنا نتجاذب أطراف الحديث وننتقل من أخبار العهد القديم الى الحديث ونتحدث في عظائم الله وبينا نحن كذلك قدم علينا الرابي فتبسم وسلم بدون أن يتكلم ثم صعد الى عليته

فلما رأت اليصابات على محياي علامات الاندهاش لعدم مكوث الشيخ معى برهة قالت لا تعجبي يا أم الرب فان الرابي مربوط اللسان لا يجد سبيلا للنطق والبيان

فزادتني اعجاباً فوق اعجاب الى طلب الاسباب فقالت : قد أخبرني كتابة على هذا اللوح الذي ليس لنا وسيلة الى الاخذ والعطاء معه سواه انه بينما كان يخدم في نوبته ويقدم بخور ذبيحة المساء ظهر له ملاك اسمه جبرائيل وبشره بما ترينه في بطني الآن من الامتلاء والحمل الذي كنا نكثر من أجله الصلوات والتضرعات. فلم يصدق البشرى فغضب جبرائيل عليه وحكم أن يكون أخرس الى ان يتم قوله بالفعل ووعده بالتمام وما كاد الملاك ينطق بحكمه حتى ثقل لسان الكاهن وارتبط ثم خرج الى الشعب لا ينطق نطقاً ففهم الشعب انه رأى رؤيا [illegible] هذا يا ولدي ما حدثتني به اليصابات [illegible] في منزلها

ولم تتم عبارتها حتى قال العبد المجوسي قد أقبلنا على العريش أول حدود مصر فنظرت الى الامام واذا نحن على مقربة منها فاشتغلنا عن الكلام بمناظر أبنية المدينة وقصورها الشاهقة ورياضها الباسقة

فدخلنا المدينة واستأجرنا غرفة من وكالة بجوار السور لها نافذة منه فنظرت منها الى الطريق الذي جئنا منه واذا بخادم الراعي زكريا يعدو نحو المدينة فشعرت انه جاءنا بأمر ذي بال فلما اقترب الى السور أشرت اليه لكي يهتدي بسرعة الى مكاننا ثم أخبرت أم يسوع ويوسف بالأمر

ولم تمض بضعة دقائق حتى وافى الخادم وناول أم يسوع رسالة مختومة فتناولتها من يده وفضت ختومها وما قرأت بعض سطور منها حتى اغرورقت عيناها بالدموع ولم تعد تقدر أن تملك الماسيا في حضنها فأشرت الى يوسف فأخذه منها بسرعة

فصارت الافكار والهواجس تأخذ بنا وتعطى فدنوت من يوسف قائلا يظهر من كآبة أم يسوع ان اليصابات رقدت

فقال ربما كان يوحنا لان موت امه لا يهيج في مريم هذا البكاء ثم تركت الرسالة واسترسلت في النحيب فما القتها حتى التقطتها ... ت انلوها بقلب يخفق واذا بها (من الشيخ زكريا الذي وهنت ... ثانه وعلا غبار الهرم وجهه ودنا من ابواب الموت وعما قريب ينزل الى الهاوية حزيناً الى مريم في الجلاء . سلام

اعلمي يا ام يسوع انه بعد اتمام فرض التطهير بيوم تلبدت سماء بيت لحم وتخومها بالغمام والقتام والظلام وتحول نهار سكانها ليلاً وليلهم جحيماً وانقلب فرحهم الى حزن وفرجهم الى ضيق ورقصهم الى ندب واشتمل كل نفس الرعب والجزع ولبست النساء أثواب الحداد والسواد واثكل اغلبهن

وسبب ذلك هو ان هيرودس بقصد ان يهلك يسوع ارسل جنوده وآمرهم ان يحاصروا في ساعة واحدة كل بلد من تلك البلاد ولما قبل الجند ذلك هجم نصفهم على المنازل واختطفوا الصبيان والاطفال والرضعان من على اكتاف الامهات واغمدوا فيهم السيوف

فشقوا بطون البعض وشطروا طفلاً نصفين وقطعوا رأس غيره وضربوا به عرض الحائط ورفعوا غيره على الأسنة وتركوا الجثث مخضبة بالدماء

وهذا البلاء يقف دون وصفه القلم ولا يستطيع ان يدرك بشاعة ذلك المشهد وفظاعته الا من شاهده وقد ذهب ضحية هذا البلاء كثير من الحاملات حين حملتهن الشفقة على الاسراع في الفرار الى القفار . فكانت كل

المصاب لأنهم حاولوا عبثاً ان يدافعوا عن اعراضهم اذ كانوا بلا اسلحة لحدوث الواقعة بغتة فدحرهم العسكر واذلوهم والقوا كثيرين منهم على الارض صرعى وهكذا عمت البلوى ودمرت اغلب البلاد وفتك بالعباد .

اما يوحنا ووالدته فلا ادرى ما اصابهما فانك تعلمين ان في منزلنا مخبأ تحت الارض تنزل اليه بدرج فلما ابتدأت المذبحة انزلتهما فيه ثم قفلت باب الدار وانطلقت الى ازقة البلد بأمل ان الطف من مصابها بما لي من الحيثية في بلاط هيرودس فلم يجد مسعاى نفعاً لان الجند كانوا يخطفون الاطفال كما تخطف الوحوش الكاسرة الفريسة وتنقض على الوالدات كانقضاض

فلم يلتفتوا الى كرامة كاهن ولم يبالوا

ولم يسعني الصبر ان

كارم تموج في بحر بلائها وانطلقت الى اورشليم وكنت أرى ما يقشعر منه البدن من ربات الخدور القارعات الصدور والحالات الشعور على الظهور وما صدقت أن وصلت العاصمة حتى توجهت الى سراي الطاغية فالفيته يداعب ابنة الكروم وبيده رباب يردد أغانى الخراب فحاولت أن أدخل اليه من الباب لارى ماذا يكون الجواب فمنعنى البواب وقال لي العسكر ها هو يسكر فتركته وانطلقت الى رؤساء [illegible] فالفيتهم في مجون وجنون ولعب وهكذا عدت بصفقة المغبون [illegible] موج تسيل على الخدين من تحت الجفون

ولما دخلت المنزل دعوت اليصابات فلم تجبني فنزلت الى المخبأ فلم أجدها فخرجت وفتشت عليها في غرف البيت فلم أجد لها ولا لابنها اثراً ومن ثم عيل صبري واعتراني الحزن فقبضت على القلم والورق وحررت لك هذه الرسالة بما جرى لتقاسميني حزن الشيخوخة وشقائها . وها أنا اختم الرسالة بين سماع زفرات الرجال والنساء المتصاعدة من كل جانب)

وفي اثناء قراءتي لخطاب زكريا الحاوي تفاصيل نكبة بيت لحم وتخومها بقتل الاطفال وسفك دماء الرجال وهتك الاعراض ونهب الاموال . كانت مريم قد كفكفت الدمع المدرار وتجلدت [illegible] اورشليم وصلت وركعت ثلاث مرات ثم طلبت الى [illegible] ان يحضر لها ادوات الكتابة فاحضر من السوق قطعة [illegible] البابيروس ومداداً وقلماً فتناولتها من يده وكتبت

من أم يسوع في شتات مصر الى الرابي زكريا . سلام

لقد رمينا بسهام الحزن فادمانا وابكانا وكوى بنار الاسى فؤادنا وشوانا وأعيانا وذلك بالرسالة التي سيرت بها الينا الاخبار المفجعة وتفاصيل النكبة المفزعة فتشخصت امامنا [illegible] تذوب الدموع من مشاطر ناك المؤلمة

ووددنا لو كنا حاضرين لخففنا من اشجانك واحزانك وذرفنا ولطفنا سعير عويلك وشهقاتك وقد مثلت لنا ابا الاسباط وهو يندب يوسف الحبيب حين صدّق انه وقع بين مخالب الذئب

فمهلاً أيها الرابي الصديق كن صبوراً على هذا الضيق فلا بد لرجال الله المبتلين من فرج ولو اوقعهم الدهر بين القوم الهمج

واذا بليت بنكبة فاصبر لها * هل قد رأيت مسلّماً لا ينكب

وكما شاهد ابو الاسباط يوسف في مصر سوف تشاهد يوحنا وامه في هذا العصر فلا تظن ان العناية تركهما مع ادراج الرياح وتفقد بهذا الظن كل بر وصلاح بل ايقن انهما على قيد الحياة لامع رفات الاموات وغاية ما اعتقد ان امه الحكيمة توارت به في كهف جبل عال عن أعين رجال بليعال فعاش على [illegible]

فختمت هذه الرسالة وطوتها ودفعتها الى الخادم وزودته مؤنة الطريق وامرته ان ينطلق الى سيده بجناح السرعة

الفصل الخامس

(١) العائلة المقدسة في مصر
(٢) سقوط الاصنام ومؤامرة الارواح الشريرة
(٣) جدال مريم مع اميرة في عين شمس
(٤) رجوع العائلة المقدسة الى فلسطين

(١) وما خرج الخادم حتى قال يوسف ان هذا الحادث الفجائي يحملنا على سرعة السفر ما امكن فدعا العبد وامره ان يتخذ في السفر طريقاً غير مسلوكة ليكون في أمن مما عساه يفعله طاغية اليهود بارسال فرقة من الجنود لتقتفي اثرنا في سفرنا . فسمع الامر طائعاً وما جن الليل حتى خرجنا من العريش بعد ان تحصلنا على تذكرة المرور بشق النفس ودفعنا كمية وافرة من النقود زيادة عن المقرر وذلك لعدم معرفتنا بعوائد اهل البلاد

وما ابتعدنا قليلاً عن المدينة حتى مال بنا العبد عن جادة الطريق وصار يخبط في الفيافي سائراً على هداية النجم كما هو شأن الاعراب في اسفارهم . ومن حسن الطالع انه قادنا في سبيل لا تعاريج فيه وبذلك وصلنا بسرعة غريبة الى مصر واشرفنا على غياضها ورياضها [illegible] لنا بساطها الأخضر وترعها وخلجانها وجداول مياهها خصوصاً بحيراتها المتسعة التي رأينا اسراب الطيور تحوم كغيوم كثيفة على وجهها والناس بازدحام على شواطئها لشراء هذه الطيور من صياديها الذين يصطادونها عادة في الليل وقد حدثنا

العبد عن هؤلاء الصيادين قائلا انهم بقايا من انسال الهكسوس أي الملوك الرعاة الذين سادوا أرض مصر وجعلوا قصبة الملك تل بسطة الآن . وفي زمانهم نزل بنو اسرائيل الى مصر ولما انقرضت وقام بدلها دولة مصرية اذلتهم حتى افتقدهم الله بالمراحم وخلصهم بيد قوية

وبعد ان سرنا على سواحل هذه البحيرات مدة وابتعدنا عنها مسافة وصلنا الى تل بسطة حيث وجدنا بقايا مدينة عظيمة تدل على ما كانت عليه من المجد والعظمة حين كانت عاصمة الملك فاصبحت الآن كيمانا واطلالاً يخيم الاعراب على خربها ويعشش البوم والوطواط فيها وتأوي اليها الوحوش والحشرات وفيها آثار الهيا كل والاصنام المجسمة والقبور القديمة المبنية من الطوب اي اللبن الذي كان المصريون يستخدمون اجدادنا في عمله وشغله

وما صدق العبد المجومي ان وجد قوماً من قبيلة يعرفها كانوا مخيمين فوق تلك الاطلال يرعون جمالهم واغنامهم حتى قصد ان ننزل ضيوفاً عندهم يوماً لاخذ الراحة من عناء السفر وقد قال لنا ان لاخوف على نزيل مصر لانها كانت ولا تزال مأوى للغريب خصوصاً انتم الذين يكثر من جنسهم فيها

فهوّنا على اشارته ورضينا أن نستقر اقدامنا في ذلك الموضع اكثر من يوم مادام يطيب لنا المقام ويلذ المناخ والعيش على شرط ان لانكلف اولئك الاعراب مؤنة ولكن هؤلاء الذين جبلوا على ان يقروا الضيف ان وافاهم في شتاء او في صيف ما رأونا حتى

احضروا لنا رغماً عن ارادتنا لبناً وزبدة واسماكاً مقددة

(٢) ولما كان من دأبي أن استطلع كل امر مجهول ما صدقت ان اكلنا مريئاً وشربنا هنيئاً حتى انفردت عن الخيام وشرعت اجول بين مجاهيل تلك الآثار عسى أن أقف على سر من الاسرار وبينا أنا أطفر من مرتفع الى وطاء اهتزت الارض تحت قدمي شمالاً ويميناً وظلت تتماوج نحو خمس دقائق حتى اعتراني الدوار ووقعت على الارض وبعد ان عدت الى ذاتي سمعت اصوات نحيب وعويل ودمدمة وانين فطرق في بالي فكر ان الارض انشقت وابتلعت قبيلة العرب ولكن لم أشك في ان العناية حفظت العائلة المقدسة بنوع عجيب

وبينا انا افكر بذلك وانا راجع لافتقد الحي صادفت باباً نسفت الزوبعة الرمال عنه وكشفته فوجدت مرسوماً على جانبيه واعلاه اشكال اناس وطيور وحيوانات وادوات وحشرات فعلمت ان ذلك كتابة هيروغليفية يستعملها الكهنة خلاف العامة الذين لهم خط مخصوص ولما صرت بقرب الباب تبين لي أنه يؤدي الى هيكل أصنام قديم فما صرت في وسطه حتى وجدت ان تلك الاصوات كانت خارجة منه لان الشياطين حدث لهم ملل اوقع الرعب والفشل فيهم وتركوا مراكزهم وارتكنوا الى الفرار

ولم يسكتوا حتى أعياهم العويل فجعل كل واحد منهم يقص مصابه في غيابه فاشتد بي الشوق الى معرفة هذه الحادثة التي رأيتها

مرة في حياتي ولذلك جلست في ركن صامتاً

فقام أولاً الثعبان القديم صاحب الغواية في البداية وجعل يخطب فيهم ويحثهم على الثبات ويبث فيهم روح النشاط والطاعة لاوامره في كل ساعة فاستبرقت مناظرهم وعلت أمارات الرضى وجوههم وابتسمت ثغورهم وبعد خطاب طويل جلس على منبر عال كان معداً له ودعا أمامه ولاة الاقاليم وقواد الجيش واركان حربه فنادى اولا ولاة ثيبة واصوان قائلاً: تعالوا يا ارواح عمون وتوت وخوتس الذين أخضعوا ببطشهم البلاد واستولوا على رقاب العباد في كل واد قصوا عليّ ما أخار قواكم دون سواكم

فتقدم هؤلاء الولاة بلا مبالاة وقالوا: يعيش الملك فوق الفلك اعلم ايها السيد المجيد صاحب الرأي السديد والفكر الرشيد أنه بينا كنا نقتبل من ايدي العباد ضحايا الاعياد وقعت تماثيلنا الضخمة على الارض وتهشمت في كل فضاء وعرض فانذعرنا وفررنا

فلما قالوا ذلك اشتملهم العبوس فطيب خاطرهم وامرهم بالجلوس

ثم دعا ارواح أوزيريس وايسيس وهورس ولاة منف وسألهم مثل الأول فاجابوه بان ماحدث لهم هو عين ما حدث لزملائهم فامر لهم بالقعود بعد السجود

ثم دعا فتاح وسخت وامنحوتف فقالوا ذلك . وفي آخر الامر دعا النائب الملكي العام وهو روح ايبيس وكان منظره منظر ثور على جبهته بقعة بيضاء اشبه بزاوية وعلى ظهره صورة نسر ومحت

لسانه صورة جعل لحمها حين تقدم قدام الرئيس وصار يخور متوجعاً مما ألم به وكان شعر ذنبه مضاعفاً

فلم يسمع من ايبيس خلاف ماسمع من كل الولاة ولذلك دعا بالجواسيس وأمرهم أن ينتشروا في كل مكان ليستطلعوا الاخبار والاسرار فخرجوا بسرعة وبعد أن غابوا مدة حضروا والاصفرار يعلو وجوههم فاحنوا هاماتهم علامة الاحترام والاكرام وقالوا اننا وجدنا في هذا المكان (الذي طالما تقدمت لنا فيه النذور والعشور وانشرحت منا الصدور في حفلات السرور من ربات الخدور) فتاة راق منظرها ورقت تحتضن طفلاً ينبعث النور من وجهه

وشكل هذه الفتاة شكل اليهود وفي خدمتها زنجي من السود ولما تقدمنا اليها انقض علينا ملاك كبرق خلّب أو اعجب وصوب نحونا أسنة الحرب وتهيأ للضرب فارتعبنا وهربنا . فلا بد ان هذا المولود من نسل داود الذي يتوقع اليهود ان لا يأدوا لسواه الجزية والسجود

قال الملك: الآن تأكد عندي كالشمس ماقاله لي قائدا التجديف وسفك الدم بالامس من أن الفتية التي اشعلا جذوتها في تخوم بيت لحم من تقطيع الاعضاء وتمزيق اللحم لم تأت بالغاية المقصودة والضالة المنشودة لأن المقصود من سفك دمائه قد انقذته ملائكة سمائه

والآن لا يرتاح لنا بال ما لم نقبض عليه كخروف ضال في أحد الجبال . فعليكم أن تسلكوا الطريق وان ضاق الى سفك دم

الصديق قبل ان يسود الافاق

فاجابوا : نعم الرأى الرشيد أيها السيد المجيد ولكن على فرض ان خلص من القفص ماذا يكون العمل يا موضوع كل رجاء وأمل

قال : نصلي قومه بنار حامية ونثير عليهم حرباً دائمة او نمزقهم كل تمزيق ونوقعهم في كل تهلكة وضيق او نعلّم رؤساءهم كما علّمنا يلعام ان يغووا بالتيه في دركات الظلام. فالفي كدّسا هذا الرأى السديد كل طريف وتليد وقام للرقص والقصف والغناء والعزف

(٣) فما وقفت على هذه الاسرار حتى أركبت للفرار في تلك القفار وسرت على عجل بلا ملل الى حيث ام يسوع واخبرتها بامر سقوط الاصنام فاشارت الى ابن داود ان يحضر سفر أشعيا فاحضره ففتحته ودلتني على المكان المكتوب فيه هذا النص : هوذا الرب يركب على سحابة ويدخل مصر فتتزلزل أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر في داخلها (اش ١٩ : ١) فحمدت الله على انجاز مواعيده واتمام مقاصده

ومن الغد سافرنا وتوغلنا في داخل البلاد وجلنا أماكن كثيرة أخصها جبل قسقام ومغارة بجوار قصر الشمع ثم المطرية وقد مكثنا في هذه عدة أيام جرت فيها لام يسوع محاورات مع أميرة مصرية كانت تعرفت بنا وصنعت لنا وليمة فاخرة وقد تعلقت بمحبة الصبي يسوع وكانت تسر بمحياه الباسم وثغره الضاحك وطلعته المحبوبة وقد روت لنا مريم مختصر تلك المحاورات قائلة

ان الاميرة دعتني ذات يوم ان احضر معها في هيكل عين شمس لاشاهد احتفال عيدى باكوس والزهرة من آلهة اليونان لان أباها كان فيلسوفاً منهم تخرج من مدرسة عين شمس وامها من سلالة الملوك الفراعنة المطالبين بسرير الملك

فاجبت دعوتها بقصد ان اقف على عوائد الوثنيين وأرى الفرق بين مجد الهنا من مجد الاصنام الجامدة فلما دخلنا قربت لصنم باكوس الخمور ممزوجة بالعطور وصارت ترتشف منها هي والنساء حتى سكرن ثم انطلقن الى حيث صنم الزهرة فامسكن بايدي عشاقهن الكهنة وصرن يرقصن ويقصفن معهم حتى أعيى الجميع ثم جلسوا على مائدة الطعام فاكلوا ما لذ وطاب وملأ الاوطاب

فانقبض صدري وقلت أين نزاهة كهنة اسرائيل وشعبه الطاهر النبيل من شراهة هؤلاء الذين يظنون انهم يقتربون من آلهتهم بشراهتهم وعربدتهم ؟

وقد عجبوا لعدم مجاراتي لهم في أعمالهم ولما عادت الاميرة الى منزلها وانفردت بها ذكرت لها تلك الخلاعة الفاقدة الحشمة وشرحت لها ان ذلك ناجم عن فساد اعتقاد ذويه وعدم استقامة مبادئهم الدينية لتوهمهم بالوهية الاصنام . فاستاءت الاميرة من توبيخ مريم وكبر عليها الامر لاعتقادها بذاتها انها زوجة فيلسوف مطلع على غامض الحقائق فحاولت اثبات كون الاصنام الهة حية قائلة احذري يامريم بطش باخوس الهنا العظيم الذي تدعين عليه

بالعدم واتقي انتقام الزهرة وغضبها ألا يكفي انك احتقرتها بعدم اشتراكك معنا بالرقص ؟

قالت مريم : أيتها الاميرة الشهيرة . ايقني أن لا وجود لباكوس سوى في فهمك ولا خوف من الزهرة ربة الخلاعة والفظاعة الا في وهمك فلا يشعران باكرام ولا بحسان باحتقار لانهما معدومان وانما الاله الحقيقي هو الاله الذي تجلى لاباننا ودعاهم لعبادته وعلّمهم شريعته ولا يزال يتجلى لخدامه الكهنة الامناء بالرؤى والاحلام والعلانية ويخاطبهم من قدس الاقداس . فلو زرت معبدنا ورأيت حشمة خدام إلهنا لراعك وقارهم وفخارهم وادهشك منظرهم واعجبك مقرهم

والفرق يا أميرة خطير بين عبادتنا وعبادتكم لأننا نحن اليهود أصحاب السنن المقدسة والعهود نعبد الاله الخالق غير المنظور الذي يملأ الكون ولا يرضى من عبادتنا الا اذا كانت بالخشوع والخضوع ويكتفي بالقلوب الخالية من العيوب

قالت الاميرة : ان باكوس حي والزهرة حية أيضاً والبرهان على ذلك أنهما يأكلان ويشربان ما يقدم لهما من سمان العجول واقداح الخمور الممزوجة بالزهور والعطور في كل العصور بلا فتور

قالت مريم : انك لفي غرور فان تلك التقدمات تلتهمها الكهنة بشراهة ونهمة حين يكون الناس غارقين في النعاس

قالت الاميرة : اذا ثبت أن تلك القرابين تأكلها الالهة

العليين اشترط عليك ان تعبدي الاصنام كل الايام

قالت مريم : واذا ثبت بالبرهان والعيان ان باكوس والزهرة لا يأكلان ولا يشربان ماذا يكون العمل والشرط المحتمل ؟

قالت الاميرة : اذا ثبت لدي ذلك أرفض ما هنالك من الطغيان واتبع الهك الرحمن واصير مثلك يهودية بكل صراحة ونية

وكانت الأميرة ورثت عن أهلها قرى وأباعد وعقارات وأملاكاً لا يفنيها الدهر واعتادت أن تنفق على طعام صنمي باكوس والزهرة كل ليلة ثمن خمس خرفان وقنطار من الخمر واردب سميذ خلاف ما تنفقه في أيام المواسم والأعياد . كل ذلك لاعتقادها ان الالهة تأكل وتشرب وترضى وتغضب

فلما عقدت الشرط مع مريم دعت كبار الكهنة واخبرتهم بالأمر فاكدوا لها أنها ستفوز بالغلبة

فسرت واعدت اضعاف ما اعتادت ان تعد كل يوم وانطلقت به مع أم يسوع الى الهيكل ووضعته على موائد تجاه الاصنام وكان من ثقة مريم ان الكهنة يأتون كل ليلة من باب سري ويلتهمون الاطعمة ولا يبقون ولا يذرون ولذلك قبل أن تغلق الاميرة باب الهيكل أمرت العبد المجوسي أن يذري رماداً فيه ففعل ثم أغلق الباب وختم بخاتمي مريم والاميرة وانصرفنا

فلما كان اليوم التالي انطلقتا معاً فوجدتا باب الهيكل كما هو والخاتمين سالمين ففكتهما الاميرة وفتحت الباب ولما شاهدت الموائد

خالية من الاطعمة صاحت بصوت عال قائلة عظيمة قدرة آلهتنا فضحكت مريم وأشارت اليها أن تنظر ما على البلاط من الآثار فوجدت آثار اقدام رجال ونساء وصبيان فخجلت وغضبت على الكهنة اذ ظهر لها مكرهم بها

ولم تدع الفرصة تذهب سدى فامرت زوجة أحدهم أن تطلعها على سر سرقة الاطعمة وهددتها فأرتها باب سرداب تحت الموائد موصل الى الخارج فتركت الوثنية وتهودت

وكان زوجها الفيلسوف علم بتهود امرأته من ترك عوائدها وكثرة تردد أم يسوع الى منزله فكبر عليه الامر وجعل يحاجج مريم باقيسته السفسطائية محاولاً ان يقنعها بان الاصنام تأكل وتشرب كل ذلك بامل أن يردّ الاميرة الى الوثنية.

وكان بالقرب من ذلك المكان بربة قديمة يسكنها تنين كبير اعتاد الناس ان يقدموا له غذاء وشراباً مفتخرين فقال الفيلسوف لمريم أتقولين عن هذا الاله التنين غير حي؟ فهوذا يأكل ويشرب ويتحرك

قالت مريم نعم انه حي ولكنه ليس إلهاً فان لي قدرة ان أقتله بلا سيف ولا عصا ومن لا يقوى على دفع البلاء عن ذاته كيف يكون إلهاً؟

قال الفيلسوف: لو قدرت عليه لعلمت انه ليس إلهاً

فاخذت مريم زفتاً وشحماً وشعراً وطبخت الجميع معاً وصنعته

أقراصاً والقتها للتنين فاكلها وللوقت انشق ومات فخجل الفيلسوف من اعتماده الباطل وكانت هذه الحوادث قد سرت بين الناس وانتشرت في الجهات المجاورة خصوصاً قتل التنين فتقدم الكهنة واثاروا العامة علينا فاسرينا في خطر ولكن من كرم الاله جاءتنا أخبار اليهودية تنذر بقرب موت هيرودس لان الله ابتلى جسمه بالاوجاع والقروح والجروح حتى صارت تبعث الروايح الكريهة

وبعد ذلك بقليل قال يوسف ان الملاك الذي رأيته أمام قدس الاقداس تجلى لي بذلك المنظر البديع وبشرني بموت طاغية اليهود وكان حين توفي تنازع ابناه سلطانه كما قال يوسيفوف المؤرخ فحكمت رومية بأن احدهما وهو هيرودس انتيباس الذي سخر بالمسيح وقت الصلب يختص بقسم الجليل وارشلاوس بقسم اليهودية ولكن سناء هذا تصرفه ففتنه رومية وصارت ترسل ولاة — منهم بيلاطس البنطي الذى امر بصلب يسوع

٤ ومن ثم اجمعنا على السفر ولم تشرق شمس اليوم التالي حتى كنا على مسافة بعيدة من عين شمس وقد رأت أم يسوع ان تقطع رحلاتنا بحديثها الرقيق فدعتني بجانبها قائلة :

ألا تتذكر آخر حلقة من سلسلة روايتي لك ؟ فقلت : بلى وقد سطرت كل ذلك ضمن هذا الدرج * فقالت : قد فعلت حسناً ثم اردفت قائلة . بعد ان لبثت في بيت زكريا نحو الثلاثة شهور عدت الى الناصرة وكان حبلي قد تعاظم واشتهر فلما رآني ابن داود بهذه

الحال امتقع لون وجهه فاعتزل الاشغال واشتغل بتعكير البال ولم يلبث ان تقدم ومسك بيدي وتحركت شفتاه للكلام فخنقته العبرات وتوقف عن الحديث ثم قال بالفاظ تقطعها الشهقات بالكاد فهمتها

(الجبان ظاهر يامريم لايحتاج بينة)

فأثرت حاله على عواطفي فاستخرطت في البكاء نظيره اما هو فكفكف دمعه واجاب قائلا : قد كنت سبيت قلبي يااختي العروس بطهارتك وزنبق عفتك وزهر عصمتك ما كان احسن حبك وكم كانت محبتك اطيب من الخمر ورائحة ادهانك من الاطياب وشفتاك تقطران شهداً

يااختي العروس الجنة المغلقة والعين المقفلة والينبوع المختوم ذات اغراس الفردوس التي لم تقطف اثمارها ولم تجن ازهارها * من ذلك الجسور الذي شوّه طلعتك وافسد جمال محياك ونجس طهارتك ياصبية ؟ من دخل جنة غرفك وقطف زهر عرفك ونزع طيبك من جيبك ؟

من استقى ماءك وعكر سماءك وافسد هواءك ؟ من انضب بئرك واوقف دولاب سيرك ؟ من اذرى عودك في ابان سعودك ولم يراع حرمة جدودك ؟

من استقى جنتك الزياء والقى فيها البذار النجس والزرع الدنس ؟

قال ذلك وولول ولطم خديه وصاح صيحة شقت القلوب بدل الجيوب ودخل غرفته واغلق بابها وجعل ينتحب : اما انا فقد اغمي

عليّ من صعوبة المنظر المؤثر ولما عدت الى ذاتي ورد على بالي هاتف وهو ان اعتذر بالكتاب واحتج على ان حبلي عجب الاعجاب فقمت مهرولة الى خزانة الرقوق واخرجت منها اسفار الخروج وحزقيال ودانيال واشعياء وعدت مسرعة الى باب غرفته وقرعتها قرعات متواليات ففتح الباب وانتظر الخطاب فدعوته قائلة :

يا يوسف لا يرعك حالي وترمي بالقباوة اعمالي اطلب مني السبب لتسمع كل العجب فاني ماانا بالبغي ولا ذات المكر والغي فان لي في الحبل عذراً ولك منه مجداً وفخراً . فهذه اسفار ابائك افتحها وتصفحها فتجدها على حبلي ناطقة ولي منها حجة صادقة

فانا يا يوسف المرموز اليه بالعليقة التي التقدت بالنار ولم تحترق (خر ٣ : ٢)

انا هي الجبل الذي قطع منه الحجر بغير يدين ولم يحترق (دا ٢ : ٤٥)

انا هي الباب الذي دخله الرب وهو مغلق مقفول دلالة على اني حبلى وبتول (حز ٤٤ : ٢)

بل انا المشار اليه بالعصا التي افرخت وازهرت ولوزاً انضجت (عد ١٧ : ٨)

فان لم يقنعك ذلك بالاشارة فاليك ما قاله ذو البرارة بصريح العبارة (ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (إش ٧ : ١٤) فلم يع هذه النبوة ولم يدرك لها معنى ولا قوة بل اكثر من

الكلام وزاد في الملام الى الظلام وقال اخيراً الافضل ان تخلي يامريم المنزل اولى من ان يوسعني العار الاشرار والاحرار

فقلت ايها البار وعن الدنايا عار عش بوجه سموح واطل الروح الى ان يأتيك الروح ويخبرك بالسر ويشرح منك الصدر قبل الفجر وهوذا انا ذاهبة للصلوة لادعو الاله

فتركته تتجاذبه الهموم كمن أصيب بريح السموم ودخلت مخدع الصلوة بكل اناة فشكرت وحمدت وركعت وسجدت وقضيت الليل ساهرة بطلبات باهرة

فما اصبح الصباح واشرق النور ولاح وانتشر عرف النهار وفاح حتى بادر يوسف وهو يكبر اليّ ويستعذر ويستغفر قائلاً

افتحي لي يا اختي وحبيبتي يا حمامتي وكاملتي لان رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل. فسألته قائلة مادهاك لما دعاك؟

فقال قد نظرت منظر اعجاب عما جاء عن حبلك في الكتاب بكل صواب منذ الاجيال والاحقاب

فانت هي الهيكل المتصان والقدس الذي لايهان والسماء بل اعظم وكرسي المجد بل اكرم فما اسعدني رجلاً ولذا ما عدت اؤخر في خدمتك رجلاً

وقد استمرت مريم تقص حوادث ابن حبلها وانا صاغ لكلامها الرقيق ومعناه الدقيق حتى اقبلنا بعد بضعة مراحل على غزة ببال

رائق بلا عائق ودخلنا من البوابة التي ذكرتني مريم بان شمشون كان اقتلع مصراعيها ودلتني على الجبل الذي القاهما عليه وهو نحو الجنوب الشرقي وقد لبثنا في هذه المدينة أياماً شاهدنا فيها الحقل الذي ضرب فيه ذلك الجبار الفلسطينيين والمغارة التي فسخ فيها فكي الاسد وبنى عليه احجيته

ولما عولنا على السفر لم ير ابن داود من صالح يسوع أن نعرج على اليهودية بداعي ان ملاكاً حذره من سم الثعبان ابن التنين وهو أرشلاوس ابن هيرودس لانه كان ضريب ابيه في الظلم ولا يقل عنه بالخوف على منصبه

فلما خرجنا من غزة انحرف بنا الدليل نحو الشرق حتى اطللنا على سيادوم وعمورة فعبر لنا ذلك المنظر عن كره الله للخطية وشدة غضبه وسخطه على فاعلها

وقد خيل لي في ذلك الوقت ان السماء تقذف ناراً وكبريتاً على تلك الصحراء المقفرة واللهيب والدخان يتصاعدان منها

وقد سرنا مسافة طويلة تحت سماء كاوية وشمس محرقة وجو صاف مع وجودنا في زمان الشتاء

ثم اقبلنا على نهر الاردن والقينا رحلنا قرب المكان الذي اجتاز منه يشوع والشعب بمعجزة وشاهدنا الاحجار التي اقامها لتذكار عبور النهر . ومن الغد استأنفنا السفر حتى بلغنا الناصرة وما انتشر خبر وصولنا بين الاقارب والاباعد والجيران والمعارف

حتى بادروا الينا زرافات ووحداناً وقد ضاق بنا وبهم المنزل على اتساعه وما صدق العبد المجوسي ان وصلنا حتى هنأنا بسلامة الوصول وانطلق الى حال سبيله مزوداً بدعاء مريم وبركتها

الفصل السادس

(١) نمو يسوع ومهنته
(٢) تردده الى اورشليم مع والديه
(٣) عماده
(٤) ابن الأرملة ولعازر

(١) لما توجه العبد المجوسي رأيت أنا أيضاً من مصلحتي أن انطلق الى وطني في عبر الاردن في جلعاد حيث بلاد مواب وكان أهلي من ذوي اليسار قنيتهم الاغنام والاتجار بصوفها ولحمها واستدرار سمنها فاستاءت مريم من عزمي واذ لم تجد طريقة لتأخيري عنه شيعتني هي ويوسف الى الخارج فانطلقت شاكراً احسانها الى جلعاد حيث وجدت أهلي يرتعون في أرغد عيش وانعم حيوة جعلت اساهم طيب نعيمهم وصافي بالهم ولذة عيشتهم الخلوية وبعدهم عن ضوضاء المدن وغوغاء الازدحام

وفي أحد الايام انطلقت الى البرية لافتقد الماشية التي كانت منتشرة مع رعاتها بقرب ديبون شرقي البحر الميت على مسافة ثلاثة أيام من اورشليم فوجدتها سالمة وقد أوقف نظري في ذلك الموضع حجر اسود منقوش باللغة الموابية (اكتشف سنة ١٨٦٩ وهو الان

في متحف اللوفر بباريز) قد كسر ماظهر منه الرعاة قطعاً فكشفت باقيه وجمعت متفرقه وضممتها اليه فكان طوله متراً وستين سنتيمتراً وهو منقوش قبل المسيح بنحو تسعة قرون يحتوي على أربعة وثلاثين سطراً

ولما بين لغة مواب بن لوط ولغتنا من التقارب والتناسب تسنى لي ان احل رموزها واعرف الاتفاق في النقط الجوهرية بين ماجاء فيه وما ورد في الكتاب عن تواريخ ملوكنا

والكاتب لهذه الصفيحة هو ميشاع ملك مواب الذي ورد ذكره في كتابنا انه عصي على يورام بن اخاب وقد تفاخر بهذه الحرب التي اثارها على اسرائيل وذكرت في سفر اخبار الايام الثاني (ص ٢٠) وذكر منها انتصاراته بدون ان يذكر كسراته كما فعل غيره من ملوك مصر واشور في خطوطهم القديمة وذلك بقوله

(ان عمري كان ملك اسرائيل وضايق مواب ايماً طوالاً لان كاموش (معبود مواب) كان ساخطاً على أرضه وخلفه ابنه اخاب فقال انا ايضاً اقهر مواب في ايامي واتسلط عليه واذله هو وبيته فباد اسرائيل بياداً دائماً وكان عمري استحوذ على ارض ميدبا واحتلها وعاش هو وابنه اربعين سنة فاستردها كاموش في ايامي

وهذه الرواية توافق كل الموافقة لرواية الكتاب المقدس اولاً في مقدار ملك عمري وابنه الاول ١٢ سنة والثاني ٢٢ سنة والست سنين كملة الاربعين سنة اما مدة منازعة زمري لعمرى او السنتان

التي ملك فيها اخزيا بن اخاب والاربع سنين التي في نهايتها تحرر مواب

ثانياً مطابقة اسماء الملوك لبعض

جاء في الصحيفة (وكان رجال جاد يسكنون في ارض عطاروت منذ زمان مديد وقال لي كاموش امض وافتح نابو على بني اسرائيل) وهذه الرواية توافق لما جاء في الكتاب (عد ٣٢).

ان بني جاد وبني راوبين جاءوا وكلموا موسى وقالوا ان عطاروت ونابو هي ارض تصلح للماشية ولعبيدك ماشية فان اصبنا عندك حظوة فلتعط هذه الارض لعبيدك وقيل بعد ذلك فبنى بنو جاد ديبون وعطاروت وبنى بنو راوبين حشبون.. ونابو. ثالثاً ذكر في الصفيحة كاموش معبود مواب ويهوه اله اسرائيل وهو طبق ما ورد في الكتاب ايضاً

رابعاً ان كتابة الصحيفة موزعة على الاحرف الهجائية الاثنين والعشرين حرفاً وهذه العادة كانت جارية عند كتبة بني اسرائيل فلم يبق محل للظن ان هذه الحروف وضعت متاخراً على (مز ١١٩) او على (ام ٣١)

فلما وقفت على هذه العبارات المطابقة لمثلها في الكتاب المقدس عجبت من هذه الخطوط القديمة وعلقتها في مذكرة

ولما عدت الى المنزل كلفت ان انطلق الى اورشليم بتجارة من الاغنام والجمال لابيعها لتجار اليهود والعرب والسريان والرومان

وقد كثر هولاء الأخر في هذه المدينة بداعي ان مجلس السناتو في رومية استبعد ارشلاوس لاساءة تصرفه وعين بدله والياً روماني الجنس

ومما يستغرب له القاريء انى اثناء تجولي في ازقة المدينة صادفت امرأة يسوع بحالة تستوجب الخوف والقلق فما صدقت أن شاهدتني حتى هدىء روعها نوعاً وبادرتني بعد التحية بالكلام وقالت : قد تعبت النهار اجمع وأنا افتش على يسوع في الشوارع وانشده بين ربى صهيون وأسأل عنه البنات والعذارى واستحلفهن بالظباء والايائل قائلة (احلفكن يابنات اورشليم ان وجدتن حبيبي ان تخبرنه باني مريضة) وهن يتجاهلن تارة قائلات (ما حبيبك من حبيب ايتها الجميلة بين النساء ما حبيبك من حبيب حتى تحلفينا هكذا) ويسخرن بي اخرى بقولهن (اين ذهب حبيبك اين توجه فنطلبه معك)

فاجبتهن على السؤال الاول بأن حبيبي أبيض واحمر معلم بين ربوة وعلى الثاني بانه نزل الى جنته الى خمائل الطيب ليرعى بين السوسن

فقلت لمريم: وكيف تسنى ليسوع ان يأتي وحده الى هذه المدينة قالت: لم يأت وحده لاني أنا وابن داود كنا معه وقد اعتدنا كل سنة منذ نفي ارشلاوس أن نأتي به الى الهيكل في عيد الفصح ولما أكملنا أيام العيد انطلقنا الى الناصرة مع الاقارب والاصدقاء وكنا

نظن أنه سار صحبتهم فبعد أن سرنا يوماً واحداً طلبناه بينهم فلم نجده فرجعنا على أثرنا وقد قضينا يومين وأنا أفتش في جهة وابن داود في أخرى فلم نهتد الى مكان وجوده وهوذا أنت الثالث كلف خاطرك وانشده معنا خاصة عند النجارين لأنه تعلم من والده هذه المهنة وقد ذاب قلبنا في داخلنا من الخوف عليه ربما أغواه أحدهم وأبقاه عنده وتبناه فقلت لها: حباً وكرامة وموعد الالتقاء بك مساء باب الخليل. فانفصلت عنها بعد أن عرفتني بعلامة فيه تميزه عن غيره وانطلقت أعدو الى الهيكل فوجدته في صحنه جالساً بين زمرة حملة التوراة وكتبتها وعلماء شريعتها يسألهم ما أشكل فيها ويفسر لهم عويصها ويوضح غامضها وهم يعجبون من طلاقة لسانه ورقة الفاظه وحلاوة كلامه في غضاضة عوده اذ لم يتجاوز من العمر الثانية عشرة وقد شوقني منطق لسانه أن أعي كلامه في خباء قلبي وسلوت به عن خوف والدته عليه فجلست أصغي واذا هو يقول

: ماذا تظنون أيها الرابيون بناموس موسى هل يطرأ عليه تغيير وتبديل وتحوير أو يدوم الى الابد مادام الالة الصمد ؟

فاجاب الرابي شمويل وكان نحيف الرقبة غليظ البطن سمين الجسم قائلاً : بل يدوم يافتى مادام الصيف والشتا

قال يسوع إذاً ما معنى قول النبي ؟(ها أيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت اسرائل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد الذي قطعته مع اباتهم يوم امسكتهم بيدهم لاخرجهم من أرض مصر

حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب (ار ٣١ : ٣١)

فسكت جميعهم من صغيرهم الى رفيعهم

فقال يسوع : أيها الرابيون ألا يجوز أن تقتر الذبائح للديان في خلاف هذا المكان ويتغير الكهنوت يا أبناء الملكوت وهلا تقبل عبادة الامم يا أولي الذمم ؟

فاجاب الرابي موشي وكان معرضاً عصابته ومعظماً أهداب ثيابه وجالساً في الصدر بكبرياء وفخر قائلاً : لا يجوز هذا الكلام يا غلام

فقال يسوع اذاً ما معنى قوله للكهنة (ليست لي مسرة بكم ولا أقبل تقدمة من يدكم لانه من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم بين الامم وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لان اسمي عظيم بين الامم (ملا ١ : ١٠)

فصمت الجميع من الرفيع الى الوضيع

وبينما هو يقوم بهذه المهام في ذلك المقام واذا بمريم ويوسف داخلان فاشارا اليه اشارة القيام فقام واعطى السلام فقالت له أمه بخشوع : يايسوع ذا القول المسموع والرأي المتبوع لماذا تركتنا حتى اشغلتنا ؟

فقال : يا مريم ينبغي لي انا الصبي ان اكون فيما لابي وتبعهما على الفور بكل سرور

(٣) ولما انتهت تجارتي ونفقت بضاعتي عدت الى الوطن فصادفت فتى لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقة جلد وبيده

آناء ملأن من عسل البر يتخلله جراد مشوى فاقتربت اليه قائلا: ما اسمك؟ فقال: صوت صارخ في البرية. قلت: ما عملك؟ قال: ان اسهل طريق الرب) فما فهمت له هذا الكلام ولا اردت ان اسومه الملام فتركني وعدا الى النهر بلا صبر. فلما اجتمعت بالرعيان سألتهم هل صادفوا هذا الشاب في الوديان او الهضاب

فقالوا لعله يوحنا العابد الذي للوحدة والنسك يكابد ويسكن القفار ولا يأوى الى دار

فقادني هذا الصوت الى عدم السكوت وقلت: هل لكم ان تدلوني على مكانه لاعرف ادوار زمانه من لسانه او بنانه واقف على مكنونات قلبه ومعلومات لبه واكون له صديقاً واخاً ورفيقاً

فقالوا: غداً يكون التلاق مع ذلك المصداق

فخاب الامل لان الرعاة اجتهدوا بعدئذ ان يقفوا لذلك العابد على أثر في تلك البرية فذهب سعيهم باطلاً ومرت عليهم عدة سنين لم يروه ولم يراهم بخلاف ما كانوا عليه سابقاً اذ كان يأنس اليهم ساعات ويحدثهم واحياناً يحضر لهم اقراصاً من الشهد ويأخذ بدله جانباً من وبر الابل ويغزله وينسجه ثوباً خاصة في فصل الشتاء

ولما كان احد الرعاة منطلقاً بقطيعه نحو الاردن شاهد على شاطئه الغربي جمهوراً لا يقدر ان يحصره غير الاله فانذعر عند هذا المشهد اذ لم يره قبل ذلك اليوم لافي هذه النقطة ولا في خلافها فلما صار بينه وبينهم نحو رمية حجر رأى رجلاً ملتحياً واقفاً في النهر يمد

الآتين اليه وكلما اقترب واحد يغطسه قائلا : انا اعمدك بماء للتوبة والذي يأتي بعدي يعمدك بالنار والروح القدس .

وكان يزجر البعض ويوبخهم على خطاياهم ويأمرهم أن يفعلوا أعمالاً تليق بالتوبة ولا يدعهم يتكلون على أبيهم ابراهيم وهم لا يجارون ابراهيم باعماله وقد لبث الراعي ساعة باندهاش تاركاً قطيعه منتشراً على ذلك الشاطيء ولما عاد به وقص عليّ ذلك الحادث طار النوم من عيني وما طلع النهار حتى توجهت الى ذلك المكان وقطعت النهر ووقفت بين ذلك الجمهور انتظر معهم ذلك الرجل وكانوا يدعونه نبي الاردن ويقولون ان الله افتقد به شعبه لانه مضت منذ ملاخي آخر الانبياء نحو خمس مئة سنة لم يقم نبي وكان بعض العلماء يحسب أسابيع دانيال ويقارن نبوة يعقوب بهذا الزمان ويستنتج ان هذا النبي هو الماسيا الذي يردّ الملك الى بني اسرائيل ويجلس على كرسي داود .

ثم صاح واحد قائلاً (هوذا النبي) فاتجهت كل الانظار نحو الجهة القادم منها واذا برجل مكشوف الرأس وشعره مرسل على كتفيه يتقدم نحو النهر وهو يقول : اهربوا من هذا الجيل الملتوي توبوا فقد اقترب ملكوت السموات . ثم عبر النهر حتى غمره الى وسطه وبدأ يعمد الآتين اليه

فدنا اليه رسولان من قبل رؤساء الكهنة وقالا له هل انت هو الماسيا المنتظر؟ فاجاب لا . فقالا : اذاً ما بالك تعمد؟ . قال: انا اعمد

بماء للتوبة ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني رجل صار قدامي لانه كان قبلي يعمد بالروح القدس والنار ويحمل الخطايا والاوزار.

ثم توقف عن العماد وشخص نحو الرابية التي ارتفع منها ايليا الى السماء ومد يمينه نحوها ولبث صامتاً نحو دقيقة حتى حوّل كل الابصار الى تلك الجهة واذا برجل تجلله الابهة والعظمة قادم اليه ترافقه بعض النساء ثم صرخ النبي بغتة قائلا: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم) فاخلى له الجمع طريقاً حتى دنا من المعمد فحياه بالسلام وقال له: ماذا تريد من العبد ايها السيد؟ فاجاب بصوت رنّ كبوق في اذان الجمهور قائلا: ان اعتمد منك. فاعترى النبي الذهول والخشوع وقال بخضوع: انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليّ؟ فاجاب انه يليق بنا أن نكمل كل بر. فلم ير النبي بداً من عماده فعمده بغاية الاجلال وللوقت هدر فوق رؤوسنا صوت كما من هزيم رعد قاصف مع ان الجو كان صافياً واذ رفعنا أعيننا الى فوق منذعرين شاهدنا مجداً باهراً نشبت منه شعاعة من نور بشكل حمامة وانقضت كسهم على رأس المعتمد وما عتم ان استحال الرعد الى صوت يتكلم ويقول: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

(٣) فضج الجمع على أثر هذا الحادث قائلاً: هذا هو المسيا هذا مخلص اسرائيل اوصنا لابن داود فليعش الملك فلتسعد الامة ولترتفع قرنها ويعلُ شأنها وتقوشوكتها ويخز الرومان وكل مستعبديها ولما صعدت هذه الاصوات بضجة الفرح تكأكأ اغلب الجمهور على

الشاطيء وقالوا . فليحيا الملك : وقصدوا ان يمسكوا ذلك الانسان. ولكن لم يصعد من الماء حتى توارى عن اعينهم فاخذوا يفتشون عليه مبهوتين حتى يئسوا من وجوده وبات بعضهم في حزن

(٤) وبينما انا اجول بين الجموع وانتقل من فرقة الى اخرى شاهدت ام يسوع باسطة يديها الى السماء وعيناها تذرفان دموع الفرح فابتدرتها بالسلام فاحنت رأسها بابتسام وقالت : ألم تر يسوع في مجده وألم تسمع شهادة الاب له بانه ابنه الحبيب؟ فاجبتها: لم اكن أعلم ان الذي عمده يوحنا وشهد له الاب وحل عليه الروح القدس هو يسوع اين هو الان ؟

قالت : اخبرني انه مزمع بعد المعمودية ان يكابد صوم اربعين يوماً مجرباً من الشيطان في القفار فغالباً قد توجه الى البرية ولا أمل ان تلتقيه قبل هذه الاونة

قلت : ماذا يقصد ان يفعل بعد ذلك ؟

قالت : طالما كان يقول انى جئت الى العالم لاخفف من ويلاته واشفي علاته فسوف اشفي اسقام الشعب واخرج الارواح الشريرة وامنح البصر للعميان واقيم الموتى وآمر الرياح ان تسكن والبحر ان يسكت وامشي على المياه واندر بسنة مقبولة للرب واعلم كل العالم الفضيلة والطاعة لابي والتعبد له

قلت : انه لهذا العمل يحتاج أن يعيش المسيح الى الابد

قالت قد انذرني بالمدة التي يجول فيها كارزاً ومعلماً وهي مدة

ثلاث سنين ثم يختم عمله بالصليب وقد كنت كلما اسمعه ينذر بموته مصلوباً ارتعد فرقاً واحاول ان اصده عن السلوك في هذا الطريق الشاق فكان يجاوبني لهذا جئت اما انه يحتاج ان يعيش دايماً ليصيب مرماه ويدرك غرضه وينجح عمله فذلك صحيح ولكن الماسيا سوف يترك العالم ويمضي الى الاب وانما قال انه مزمع ان يختار لاتمام هذا العمل اثنى عشر رسولاً وسبعين مبشراً

قلت: الان تذكرت ماذا قال لي سمعان الشيخ انك سوف تكون احد انصاره والقائمين بدعوته

فسوف الحق به واكون من خاصته وكما خدمته في الصغر اخدمه في الكبر وانما الآن اعود الى الوطن لاقضي بعض المهن واعود الى الناصرة حيث اجدك واستعلم منك عن مكان وجود الماسيا لان تلك المدة تكون قد انتهت فقبلت يديها

قالت: لا اخفي عنك ياولدي شيئاً ان لي صديقة في نايين دعتني منذ يومين ان احضر عقد اكليل وحيدها بعد شهرين فمتى مضت هذه المدة تجدني قد عدت الى الناصرة

فاجتزت النهر وانطلقت الى حال سبيلي اتامل في تلك الحوادث السموية التي شاهدها الوف غيري واقروا بمنزلة المعمد الالهية ولم تمض مدة الاربعين يوماً حتى تهيأت للسفر الى بلاد الجليل قاصداً الناصرة منها وفي اثناء الطريق تذكرت كلام مريم لي انها كانت مزمعة ان تابي دعوة صديقتها الارملة في نايين وتحضر احتفال زيجة وحيدها

فعرجت على هذه القرية

وما سرت بضعة خطوات في شوارعها حتى التقيت بام يسوع متوجهة الى بلدها الناصرة فقالت سلام لك يا ولدي لو تقدمت بضعة ساعات لشاهدت مجد الله ولكن سر معي لاقص عليك ماجرى اليوم اخبرتك يوم كنا على شاطيء الاردن اني مدعوة ان احضر زفاف شاب وحيد لارملة تتقي الله وتتعبد له منذ ترملها فاجابة للدعوة جئت هنا منذ يومين فحدث البارحة بينما كنا نستعد للتوجه الى بيت الخطيبة ان الشاب اصيب بحمى خبيثة لم تدعه ان تطول عليه ساعات ذلك النهار وفي ساعة واحدة تغيرت الافراح بالاحزان والاشجان ومن يقدر ان يصف مقدار كآبة تلك الارملة سيما اغتمام تلك العروس منذ طرق سماعها تلك الفاجعة فكانت زفرات الحزن واصوات العويل تجاوب من بيت العروس وبيت ذلك الميت وكان حزني لايقل عن حزن تلك الثكلى التي كانت تمزق الحشاء بندبها وعويلها وما ادراك ماذا حدث لها حين رفع الرجال ثمرة احشائها من بين يديها جثة هامدة لا حراك فيها جثة ذلك الشاب الذي كان على جانب عظيم من قوة الصبوة وعنفوانها وذهبوا بها الى المدفن فاعترى الثكلى الذهول والغيبوبة وخنقتها العبرات وامست شاخصة لاحراك لها كانها قطعة من حجر

فحينئذ تأسفت بذاتي قائلة لو كان الآن يسوع معنا هو وتلاميذه كما كان في عرس قانا الجليل وحول الماء الى خمر حين مست الحاجة

اليه لما دهمتنا هذه النكبة ولكن ما قدر فكان وقضى فصار ولا مرد لقضاء الله وقدره ولم تدعني رقة القلب والحنانة ان ادع تلك العروس الشقية واصحب النعش فتوجهت الى منزلها وبقيت تارة الاطفها وأخرى اراقب من النافذة سير الجنازة حتى غابت عن عيني فاعملت كل فكري في تنبيه تلك الشقية التي هي بالحقيقة سعيدة واستعملت كل وسيلة المنبهات حتى استفاقت كأنها من حلم وهي تنادي امها الى اتمام معدات الزفاف ووسائل الافراح

وبينما انا اعالج العروس طرق اذني صوت هتاف عظيم فاجفلت وتطلعت من النافذة وعندها تاكد عندي انه هتاف فرح وانه آت من خارج اسوار المدينة وتسلقت جدار سطح البيت حيث انكشف لي منه جمهور عديد يقرب منها وما لبث قليلاً حتى شاهدت خادم البيت الادومي ينهب الارض محاضراً وهو يشير بيديه ويحرك رأسه ومن وراءه شابان يسرعان ويشيران مثله ويهتفان هتافاً لم أفهم منه سوى (هو حي هو حي (يسوع يسوع) البشرى البشرى اين عروسه فزادت نبضات قلبي وتلجلجت في الاستفهام بتلهف قائلة بالفاظ مقطعة من الذي تقولون عنه انه حي؟ وماذا تريدون باسم يسوع؟ فاجاب الخادم ومحياه يتلألأ بالبشر والسرور — العريس احياه يسوع ياستي اين الفتاة دعيني اراها قبل غيري البشرى لي وحدي لا تقطعي رزقي هاهو قادم في موكب الفرح تحفه اصوات التهليل وترافقه نشائد السرور ووالدته من ورائه تزغرد وما اتم الخادم كلامه حتى سرت

امامه مسرعة الى حيث العروس واخبرتها بذلك كمن يقص عليها حكاية بسيطة خوفاً من انفعال الفرح قائلة : البشرى ياعزيزتي قد قام عريسك اقامه يسوع

فهزت رأسها وشخصت الى السماء وسكبت عبرات اليأس غير مصدقة وقالت: آه يقوم ولكن في القيامة فقطع كلامها الخادم قائلاً: ولكن الآن يقوم على الارض وقد شاهدته يتكلم بعظائم الله واما فرح والدته فلا يوصف

وما نطق بآخر كلمة حتى دوت اصوات الجمع في الازقة وملأ الضجيج الشوارع ولم يعد له وقت لكي يتم تفصيل حكايته فقدت العروس الى سطح المنزل وهي بين الشك واليقين ولما اشرفنا على الجموع شاهدنا الشاب يتقدم الجموع على رجليه طافراً مسبحاً الله بين هتاف الحمد واصوات المجد ولم يبق بينه وبين الباب سوى خطوات وما صدقت الشابة ان شاهدته حتى صرخت والدموع ملأى عينيها النجلاوين انه حي انه حي وبادرت الى الاسفل وعانقته وعادت الى خدرها قبل أن يراها احد

ولما سكت الهتاف تقدم الكاهن وذعا بالشابة الى جانب الشاب وأتم قرانهما بالدعاء والبركة وهوذا هما في ارغد عيش وانعم حيوة

ولما اتمت مريم روايتها سالتها عن مكان وجود الماسيا الآن فقالت : ان الجمع على اثر اقامته لابن الارملة تظاهر بالعصيان على

الرومان وطلب ان ينصّبه على كرسي داود ابيه ملكاً فتوارى في وسطهم واختفى تاركاً تلاميذه وعلى ظنّ انه انفرد في الجبل للصلوة كعادته وربما سبقنا الى الناصرة

وما وصلنا الى هذه المدينة حتى وجدنا رسولاً ينتظر قدوم مريم بفروغ صبر حاملاً اليها رسالة من صديقتين لها في اليهودية اسم احديهما مريم والاخرى مرتا ففضت ختوم الرسالة وقرأتها وتنهدت شاخصة اليّ فتناولتها من يدها وتأملتها واذا بها

(من مريم ومرتا في بيت عنيا الى ام يسوع بالناصرة سلام اعلمي ان لعازر صديق ابنك احتم البارحة وسقم والمرض آخذ به بالزيادة من ساعة الى اخرى وقد ارسل لنا رئيس الكهنة ثلاثة اطباء مذعلم بالمرض فلم ينجع دواؤهم ومن حامل رسالتنا تقفين على تفصيل المرض ولا امل بالشفاء منه مالم يدركنا صديق اخينا بالاسعاف فعندوقوفك على هذا الخبر الذي بالطبع يبعث فيك الشفقة علينا والحزن معنا اطلبي الى يسوع ان يبادر الى موازرتنا قبل ان يصيبنا الشر لا سمح الله)

فتطلعت الى مريم قائلاً لابد ان لعازر متقرب الى رئيس الكهنة والا لما اهتم به وارسل له الاطباء

قالت وفوق ذلك انه شهير عند جميع روساء اورشليم ومحبوب عندهم لانه من كبار كتاب الناموس واحذقهم ومعيشته ومعيشة اختيه من صناعته هذه فياويلهما اذا توفاه الله

فقلت اذاً ما العمل؟ قالت ان ترفق هذا الرسول الى حيث يوجد

يسوع وتدعوه بلساني أن ينطلق بسرعة الى عيادة صديقه لعازر ليخفف من وَيل تينك الاختين وهوذا انا ذاهبة قدامكما اليهما فاجبتها حباً وكرامة وسرت انا والرسول الى نواحي طبرية انشده ومن توفيقات العلي التقينا به في سحراء غاصة بالجموع وهو يعظهم فظل يخاطبهم الى ان مال النهار .وقبل ان يصرفهم قدم اليه فتى خمس خبزات وسمكتين على طبق فوزعها الى قطع ودفع الى كل واحد من المحدقين به جانباً ليضعوه قدام ذلك الحشد الجالس وقتئذ على العشب الاخضر

فوقفنا مبهوتين لانا كنا نشاهد ان المتوزع من بين يديه اضعاف ما تقدم له الافاً

والاعجب من ذلك ان يسوع امر المقدمين تلك المائدة ان يجمعوا مافضل عن الاكلين من الكسر فجمعوها واذا بها اثنتا عشرة قفة ثم صرف الحشد آذناً لهم ان ينطلقوا الى بلادهم

ولم يبق معه الا اثنى عشر رجلاً كانوا اطوع له من ظله فتقدمت اليه بالرسول الآتي من قبل مريم ومرتا جاثياً وقلت له: ياسيد ان الذي تحبه مريض ثم دفعت اليه رسالة منهما فقرأها وقال: هذا المرض ليس للموت بل ليتمجد ابن الله به. وبدل ان يجيب الطلب ويسرع لاغاثة تينك المسكينتين لبث في مكانه يومين وكنت كلما اجسر ان ادنو منه لافاتحه بتلك المسألة تصدني مهابته عن الكلام وفي آخر مرة التفت اليّ بوجه رائق وقال لعازر حبيبنا قد نام فقال واحد من الواقفين

ان كان نام فهو يستيقظ فاجابه يسوع : اني اريد بالنوم الموت . قال ذلك وسار وامرنا ان نتبعه

فسرت بجانب واحد اسمه متى كانت وظيفته قبل ان يتتلمذ له جباية الخراج فقال لي : أتظن ان معلمي لا يقدر ان يقيم لعازر من الموت؟ ألم تسمع انه اقام ابنة احد الرؤساء ومذ بضعة ايام أقام شاب نايين؟ ولو أردت ان اقص عليك من خوارق اعماله لطال بنا الكلام ولكني اكتفي ان اذكر لك منها ماهو. مرة طهر ابرص واخرى عشرة دفعة واحدة وفي وقت طلب اليه قائد مائة من جنس الرومان ان يقول كلمة واحدة ليشفي بها ابنه المفلوج فشفاه بقوله له: كما أمنت ليكن لك. وفي يوم قدم اليه مفلوج على سرير فامره ان يحمل السرير ويمضي فقام صحيحاً وفعل كما امره . وفتح اعين العمي واخرج الشياطين واعطانا نحن تلاميذه سلطاناً ان نفعل نظيره ولما جلنا بين اسباط اسرائيل كانت الشياطين تخضع لنا باسمه فلا يعسر عليه ان يقيم لعازر. فقلت: ان كان لعازر مات البارحة او اليوم ومن هنا الى القرية التي دفن فيها مسافة يومين فلا نصل حتى يكون مضى زمن تشوّش فيه جسمه

فقال: الكلام لا يفيد الان سوف ترى ان قدرة يسوع لاحد لها

وكان يقص من حوادث المسيح وانا اعي ذلك في خباء قلبي الى ان اشرفنا على القرية فعدوت نحوها راكضاً حتى بلغت منزل لعازر الذي كان وقتئذ مزدحماً باليهود المعزين وبشرت اختيه وام

يسوع بقرب مجيء المسيح فما طرق سماع الجمع مجيئه وخاصة مرتا حتى خرجوا ماعدا مريم التي لبثت تهيء المنزل لنزول يسوع حبيبها

اما مرتا فادركت المسيح قبل الكل وسقطت باكية عند قدميه قائلة: ياسيد لو كنت ههنا لم يمت اخي. قال لها: يقوم اخوك يامرتا اذهبي الى مريم وقولي لها ان يسوع يدعوك لتري مجد الله. فلم تصدق مرتا وعد المسيح بل اجابته: انا اعلم انه يقوم في القيامة. فقال لها: انا هو القيامة من آمن بي وان مات فسيحيا ألا تؤمنين بهذا ؟

فاجابت: بلى اؤمن واسرعت الى مريم ودعتها قائلة: ان المعلم يدعوك لكي تشاهدين قيامة اخينا لعازر

فخامر مريم السرور الممزوج بالخشوع عند سماعها هذه البشرى وتركت ما بيدها من العمل وتبعت اختها ولما دنت من يسوع وقعت عند رجليه باكية قائلة: لعازر مات يا يسوع وقد انطفى نور أعيننا بموته يامعلم وهدم صرح مجدنا ودكت دعامة حياتنا وهوى ركن سعادتنا ياسيد وصار الموت خير لنا من الحيوة فلو كنت ههنا ايها الشفوق لم يمت اخي

قال لها: من آمن بي لا يذوق الموت وان مات فسيحيا اين وضعتموه؟

فسارت قدام يسوع والجمع من خلفها حتى وصلوا مغارة على بابها حجر عظيم حيث كان موضوعاً فانطرحت الاختان على الحجر تبكيان ولما شاهدهما يسوع تنهد وبكى وامر رجالاً ان يرفعوا الحجر فرفع وللوقت شكر وابتهل وصاح بصوت عظيم قائلاً

لعازر هلم خارجاً

وعند هذا الصوت شخصت جميع الابصار الى باب المغارة واذا بالميت قد اندفع منها كسهم مرشوق من قوس وانتصب على رجليه بكفنه وعندها انذعر الجمع الواقف ووقعوا على الارض من الخوف ما عدا مريم واختها اللتين اندفعتا بجاذب الحب الاخوي عليه وعانقتاه مزغردتين فنادى يسوع بالذين رفعوا الحجر قائلاً حلوه من وثاقه وكان الجمع قد رجعت اليه قواه فوقف وشرع يعانقه الواحد بعد الآخر

ثم ساروا به فرحين شاكرين احسان الماسيا

الفصل السابع

(١) الصلب والموت

(٢) القيامة والصعود

(١) وكان المظنون ان يسوع يرافق الجمع الى منزل لعازر ولكنه توجه الى اورشليم وفي اثناء الطريق ارسل اثنين من تلاميذه الى قرية قريبة فاحضرا له اتاناً وجحشاً فركب على الاتان في صعوده وعلى الثاني في نزوله لضعفه وسار والتلاميذ محدقون به والمهابة تحفه والجلاله ترافقه بين هتاف المجد واصوات الحمد وقطع بعضهم اغصاناً من شجر الزيتون وفرشها قدامه وحمل غيره اغصان النخل

ولما قرب من المدينة ارتجت وخيل لي انه لم يبق فيها ساكن لم يخرج لاستقباله وقد امتزجت اصوات الاطفال باصوات التلاميذ

باصوات الجمع والكل يقول : اوصنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب .

وظل يسير بهذا الموكب حتى دخل الهيكل فاستاء مما شاهده فيه من تدنيسه باصوات ثغاء الغنم ويعار البقر وهدر الحمام ورنة الدنانير بدل اصوات التمجيد ولذلك رفع سوطاً بيده وضرب به الارض كان كرعد قاصف وتلاه قائلاً : ان بيتي بيت الصلوة يدعى وقد جعلتموه مغارة اثم وظلم وسلب ونهب وربا

ولم يدو صوته في أذان الباعة حتى ذعروا ووقع بعضهم على بعض ومن جراء ذلك انقلبت كراسي باعة الحمام وموائد الصيارفة ففرت الطيور وانكبت الدنانير وفي لمح البصر لم يبق في الهيكل سوى التلاميذ ونفر قليل من الكهنة فتقدموا اليه وقالوا له قدفتنت المدينة فعن قليل يأتي الرومان ويخربونها ألم تسمع ماذا يقول الاطفال؟

فاجاب: ليست لي مسرة بكم. وان سكت هولاء نطقت الحجارة فقد دنستم الهيكل واهنتم اسم ابي الذي دعي عليه فسيأتي يوم لايترك فيه حجر على حجر

وما اتم كلامه حتى تقدم اليه عرج وعمي فشفاهم ثم خرج من الهيكل وسار الى خارج المدينة

وفي اثناء الطريق تقدمت اليه ساجداً قائلاً : ياسيد اتبعك الى حيث تمضي فاجاب: ان كنت تريد ان تكون لي تلميذاً كاملاً فامض وبع املاكك وفرقها على الفقراء والمساكين وتعال ورائي حاملاً

الصليب واعلم انه ليس لي مكان اضع فيه رأسي

فتقهقرت الى الوراء متردداً بين العمل بمشورته والعدول عنها وبعد الاخذ والرد في ذاتي اخترت الامر الاول على الثاني وانطلقت الى البلد حيث مكثت الى ان وزعت ما امتلكه على الفقراء المساكين من متروكاتي ومنقولاتي وعدت على الاثر الى اورشليم حيث شاهدت في شوارعها يسوع تهشم من منظرة الاجسام وترتعد الفرائص شاهدته لابساً اكليل شوك وحاملاً الصليب واليهود والجند يستاقونه بعنف الى منقع العذاب والنساء يولولن عليه ويندبنه ويرثين لحال والدته وتلاميذه قائلات: يالشقاء والدتك يالخيبة تلاميذك ما أكثر عارهم واعظم خزيهم. وما وصلوا به حتى عروه ومدوه على خشبة وسمروا يديه ورجليه عليها وغرسوا اسفلها ونصبوها وصلبوا معه مجرمين احدهما عن يمينه والاخر عن شماله وصار كل من يجتاز عليه يعيره

اما انا فقد جمد الدم في عروقي واشتملني الذهول واخذتني الحيرة وصرت اقايس بين المعجزات التي فعلها والتي رافقت حياته وبين الحالة المخجلة التي انتهى اليها

وكانت نساء واقفات عند الصليب يبكين بينهن امه التي بمجرد ما وقع نظره عليها دعا تلميذه يوحنا الخصيص به وسلمها له وامره أن يعتني بها كوالدته ومريم اختها ام يعقوب ويوسي ويهوذا ونساء اخريات

وقد زاد ارتباكي حدوث ظلمة اكفهر منها وجه السماء حتى ظهرت النجوم وغطت الارض وحجبت رؤية أحدنا عن الاخر ولم نعد نشاهد الصلبان الثلاثة سوى صليب يسوع لان هالة من نور بقيت فوق رأسه كان يتألق منها وجهه

وقد استمر وجه السماء والارض مكفهراً نحو ثلاث ساعات وعقب ذلك صاح يسوع بصوت وأسلم الروح وعندها تماوجت الارض واحدثت قرقعة ودوياً حتى غشي علينا ووقعنا على وجوهنا من الرعب ولما ارتفع الدوار عنا وعادت الينا قوانا انتصبنا على أقدامنا ورأينا الصخور التي بالقرب منا تميزت قطعاً والقبور بانت منها اكفان الموتى فكان بالقرب من هذا المكان بستان لغني فيه قبر جديد منحوت بصخر فتوجه الى الوالي الروماني وطلب اليه أن يأذن له بوضع جسد يسوع فيه فاذن له فوضعه فيه بعد ان ضمخه بالاطياب والروائح الذكية

وخاف اليهود أن يسرق التلاميذ الجسد ويدّعوا بقيامته فطلبوا من الوالي التغفير عليه فامر أن يوضع الحرس فوضع على القبر بعد ان سد بابه بحجر كبير وختم عليه

(٢) فهذه الحوادث المكدرة بعثت بي شوقاً الى ان الازم تلاميذه واستطلع أخبارهم وأقف على ما هم عازمون ان يفعلوه ان كانوا يتفرقون ايدي سبا او يقيمون الحجة ضد الوالي واليهود لدى الامبراطور على ما اتوه من الظلم وبعد ذلك ينادون بدعوة معلمهم المصلوب

وينشرون تعاليمه فجعلت اجول في شوارع المدينة واتقصى عن الموضع الذي كانوا يترددون اليه لاني علمت من بعض النساء انهم بعد القبض على يسوع في بستان جثسيماني وقع الرعب في قلوبهم ولازمه بعضهم خفية الى دار رئيس الكهنة حيث اثبت اليهود عليه أنه جدف لانه قال ان الله اباه وساوى ذاته به فلما كشفت بوابة عن أمر أحدهم المدعو بطرس انكره من شدة الخوف وحلف مراراً انه يجهله

وبعد العناء الشديد تأكدت أنهم مختفون في جبل صهيون في منزل ام يوحنا الذي دعي بعدئذ مرقس فلما بلغت الى باب ذلك المنزل قرعته مراراً ففتحته جارية اسمها رودا ولم تأذن لي بالدخول الا بعد أن وقفت على معرفتي تمام الوقوف فدخلت الى حيث وجدت اولئك الساكين مكروبين مذلين مذعورين هذا يكتئب وذاك يتنهد والآخر يردد الصعداء وكلهم في خوف ووجل حائرون لا يدرون ماذا يكون من أمرهم والنساء اللواتي معهم وان كن في حزن عميق وانكسار قلب خاصة والدة المصلوب التي كان يصعد من جوفها كل عويل بعد آخر يفتت الكبد فقد كن اقوى قلباً منهم واسكن جأشاً

وكانت النساء قصدن ان يذهبن في اليوم التالي ليبكين عند القبر فلم يأذن لهن شؤون السبت والخوف من اليهود فاكتفين باعداد الطيب ليدهن به جسد يسوع وصباح اليوم الثالث من الفجر انطلقن

الى القبر ولم يمض على غيابهن زمن حتى رجعن مذعورات محمولات بفرح عظيم وكانت مريم اخت لعازر أشد سرعة فلم تصل باب المنزل حتى قرعته بعنف فتربصنا كل واحد في مكانه خائفين وجمد الدم في عروقنا وبالجهد دنت الجارية من الباب بوجل ونادت بصوت متقطع من القارع ؟ فجاوبتها بزغرودة فخارت قوى الجارية من الاضطراب وعادت بدون ان تفتح الى بطرس ويوحنا وام يسوع لانها كانت معهما في غرفة واحدة واخبرتهم بالامر فخرجوا مسرعين الى الباب وفتحوه فارسلت النساء زعاريدهن ووقعت مريم اخت لعازر على عنق ام يسوع وقالت لها

ـ ان ـ انه ـ قام من القبر وقد نظرته وكلمني — البشرى يا مريم البشرى يا بطرس البشرى يا يوحنا البشرى يا تلاميذه انكم لم تكونوا مخدوعين بالحقيقة قام رب المجد ابن الاب المبارك ليا لعظم سرورنا وفرحنا وسعدنا به يا لخزي اليهود الصالبين

فلم تدع هذه العبارات فينا قوة الاحتمال والصبر الى ان نسمع تفصيل ما شاهدته فخرجنا جميعنا وبطرس ويوحنا يتقدماننا وما اجتزنا بوابة المدينة قليلاً حتى لقينا أربعة جنود فاجتازونا راكضين نحو المدينة مذعورين فناداهم حارس البوابة ما دهاكم حتى أراكم خائفين أيها الأبطال ؟

فاجابه أحدهم (اعلم أننا نحن الحرس الذين أمرنا أن نقفر على قبر النبي يسوع حدث انه بينا كنت أخطر قدام القبر عند شروق

نور الفجر اذ ابرق حولنا نور خاطف مصحوب بحفيف شديد كانه من أجنحة كثيرة أيقظ رفاقي مذعورين واذ تطلعنا الى فوق شاهدنا شخصاً يتألق بالضياء الساطع ينقض الى الاسفل حتى نزل على القبر وحينما مست قدماه الحجر اهتزت الارض تحت أقدامنا كما من زلزال

وللوقت رأينا النبي المصلوب قام من القبر واقفاً على قدميه ومشى يتخطر في البستان بعجب وافتخار وقوة وانتصار ومن هول المنظر سقطنا على وجوهنا ولم نعد الى رشدنا حتى لمحنا القبر وقد امتلأ من صور تسطع بضياء ساطع فاركنا الى الفرار)

ثم دخلوا المدينة اما نحن فخرجنا مسرعين وفي الطريق سألت مريم ماذا شاهدت؟ فقالت: لما اتينا القبر وجدنا الجند ساقطين كالاموات وملاكاً جالساً على الحجر بجانب القبر فخفنا ووقفنا حائرات فنادانا قائلاً: انا اعلم انكن تطلبن يسوع فقد قام كما قال وهو ذا المكان الذي كان الرب مضجعاً فيه اسرعن الى تلاميذه وقلن لهم ان يذهبوا الى الجليل ليروه هناك

وما اتمت كلامها حتى وصلنا البستان وشاهدنا عن بعد نوراً ينبعث من القبر فلما اقتربنا منه رأينا داخله ملاكين احدهما عند الرجلين والاخر عند الرأس وبعد ان بشرانا تواريا وعلى اثر ذلك وصل يوحنا فتطلع في القبر ولم يدخل فرأى الاكفان مطوية وكذا المنديل الذي كان على رأسه فامن ثم وافى بطرس ودخل القبر وفحص كل شيء بتدقيق واقتنع

فعدنا جميعاً الى المدينة لنبشر باقي التلاميذ ماعدا مريم التي استمرت عند القبر باكية فقالت بعدئذ: انها رأت الرب ولما عدت لتمسك بقدميه قال لها: لاتلمسيني انطلقي الى اخوتي وامي وبشريهم ثم اختفى عنها

وما طرق بسماع التلاميذ هذه البشرى حتى اسرعوا الى الجليل حيث شاهدوا يسوع على شاطيء البحيرة واكلوا معه وشربوا ولما عادوا الى اورشليم دخل عليهم والابواب مغلقة ولم يكن توما معهم فظهر لهم مرة أخرى وهو معهم

وفي ختام الاربعين يوماً من قيامته سار بنا الى قمة جبل الزيتون وبعد ان اوصانا الا نبرح من اورشليم حتى نلبس قوة من العلاء انفرد عنا قليلاً وصعد الى السماء وعيوننا تشيعه

(تم)

يسوع المصلوب

(كتبت يوم الجمعة الحزينة)

اليوم وفي مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية من رقادها العميق وتقف أمام أشباح الاجيال ناظرة بعيون مغلفة بالدموع نحو جبل الجلجلة لترى يسوع الناصري معلقاً على خشبة الصليب . وعند ما تغيب الشمس عن مآتي النهار تعود الانسانية وتركع مصلية أمام الاصنام المنتصبة على قمة كل رابية وفي سفح كل جبل . اليوم تقود الذكرى ارواح المسيحيين من جميع أقطار العالم الى جوار اورشليم فيقفون هناك صفوفا صفوفاً قارعين صدورهم محدقين بشبح مكلل بالاشواك باسط ذراعيه أمام اللانهاية ناظر من وراء حجاب الموت الى أعماق الحياة . ولكن لاتسدل ستائر الليل على مسارح هذا النهار حتى يعود المسيحيون ويضطجعون جماعات جماعات في ظلال النسيان بين لحف الجهالة والخمول

وفي مثل هذا اليوم من كل سنة يترك الفلاسفة كهوفهم المظلمة والمفكرون صوامعهم الباردة والشعراء اوديتهم الخيالية ويقفون جميعهم على جبل عال صامتين منتبهين مصغين الى فتى يقول لقاتليه (يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لايدرون ما يفعلون) ولكن لاتكشف السكينة أصوات النور حتى يعود الفلاسفة والمفكرون والشعراء ويكفنون ارواحهم بصفحات الكتب البالية. ان النساء المشغولات

ببهجة الحياة المشغوفات بالحلى والحلل يخرجن اليوم من منازلهن يشاهدن المرأة الحزينة الواقفة أمام الصليب وقوف الشجرة اللينة امام عواصف الشتاء ويقتربن منها ليسمعن أنينها العميق وغصاتها الاليمة

اما الفتيان والصبايا الراكضون مع تيار الايام الى حيث لايدرون فيقفون اليوم هنيهة ويلتفتون الى الوراء ليروا الصبية المجدلية تغسل بدموعها قطرات الدماء عن قدمي رجل منتصب بين الارض والسماء . ولكن عند ما تمل عيونهم النظر الى هذا المشهد يتحولون مسرعين ضاحكين

وفي مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية يقظة الربيع وتقف باكية لاوجاع الناصرى ثم تطبق اجفانها وتنام نوماً عميقاً اما الربيع فيظل مستيقظاً مبتسماً سائراً حتى يصير صيفاً مذهب الملابس معطر الاذيال . الانسانية طفلة تقف متأوهة بجانب الطائر الذبيح ولكنها تخشى الوقوف امام العاصفة الهائلة التي تتعصر بمسيرها الاغصان اليابسة وتجرف بعزمها الاقذار المنتنة . الانسانية ترى يسوع الناصرى مولوداً كالفقراء عائشاً كالمساكين مهاناً كالضعفاء مصلوباً كالمجرمين فتبكيه وترثيه وتندبه وهذا كل ماتفعله لتكريمه .

منذ تسعة عشر جيلاً والبشر يعبدون الضعف بشخص يسوع . ويسوع كان قوياً ولكنهم لايفهمون معنى القوة الحقيقية . ماعاش يسوع مسكيناً خائفاً ولم يمت شاكياً متوجعاً بل عاش ثائراً وصلب

متمرداً ومات جباراً . لم يكن يسوع طائراً مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الاجنحة المعوجة .

لم يجيء يسوع من وراء الشفق الازرق ليجعل الالم رمزاً للحياة بل جاء ليجعل الحياة رمزاً للحق والحرية. لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش اعداءه ولم يتوجع امام قاتليه بل كان حراً على رؤوس الاشهاد جريئاً امام الظلم والاستبداد يرى البشور الكريهة فيضعها ويسمع الشر متكلماً فيخرسه ويلتقي بالرياء فيصرعه . لم يهبط يسوع من دائرة النور الاعلى ليهدم المنازل ويبني من حجارتها الاديرة والصوامع ويستهدي الرجال الاشداء ليقودهم قسوساً ورهباناً بل جاء ليبث في فضاء هذا العالم روحاً جديدة قوية تقوّض قوائم العروش المرفوعة على الجماجم وتهدم القصور المتعالية فوق القبور وتسحق الاصنام المنصوبة على احياء الضعفاء المساكين لم يجيء يسوع ليعلم الناس بناء الكنائس الشاهقة والمعابد الضخمة في جوار الاكواخ الحقيرة والمنازل الباردة المظلمة. بل جاء ليجعل قلب الانسان هيكلاً ونفسه مذبحاً وعقله كاهناً. هذا ما صنعه يسوع الناصري وهذه هي المبادىء التي صلب لاجلها مختاراً ولو عقل البشر لوقفوا اليوم فرحين متهللين منشدين اهازيج الغلبة والانتصار .

وانت ايها المصلوب الجبار الناظر من اعالي الجلجلة الى مواكب الاجيال السامع ضجيج الامم القائم احلام الابدية أنت على

خشبة الصليب المضرجة بالدماء اكثر جلالاً ومهابة من الف ملك على الف عرش في الف مملكة ، بل أنت بين النزع والموت اشد هولاً وبطشاً من الف قائد في الف جيش في الف معركة .

انت بكآبتك اشد فرحاً من الربيع بازهاره انت باوجاعك اهدأ بالاً من الملائكة بسمائها . وانت بين الجلادين اكثر حرية من نور الشمس. ان اكليل الشوك على رأسك هو أجل واجمل من تاج بهرام والمسمار في كفك اسمى واعظم من صولجان المشتري . وقطرات الدماء على قدميك اسمى لمعاناً من قلائد عشتاروت . فسامح هؤلاء الضعفاء الذين ينوحون عليك لانهم لا يدرون كيف ينوحون على نفوسهم واغفر لهم لانهم لا يعلمون بانك صدعت الموت بالموت ووهبت للحياة لمن في القبور)

عن كتاب (العواصف)

ومن هذا الكتاب من مقالة عنوانها (نحن وانتم — نحن ابناء الكآبة . وانتم ابناء المسرات).

(قد صلبتم الناصري ووقفتم حوله تسخرون به وتحدقون عليه . ولكن لما انقضت تلك الساعة فنزل عن صليبه وسار كالجبار يتغلب على الاجيال بالروح والحق وملأ الارض بمجده وجماله . وقد سممتم سقراط ورجمتم بولس « اسطفانوس » وسجنتم غليلو . . وهؤلاء يحيون الآن كالابطال الظافرين امام وجه الابدية .